الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعاليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

مطبوعة بيداغوجية في مقياس :

مدخل إلى علم الأخلاق

وفق مقرر السنة أولى ماستر عقيدة

إعداد الدّكتور:

قول معمر

السنة الجامعية: 1442/1441هـ

2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة :

الحمد لله الذي علّم الإنسان البيان وجمّل البيان بالقرآن، والصّلاة والسّلام على من قال الله في حقّه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم / 04، وعلى آله وصحبه الوارثين لأحواله وسنّته وعلى آل بيته الطّاهرين وبعد:

يُعتبر علم الأخلاق من العلوم المعيارية التي تُعنى بالسلوك الإنساني من حيث تقويمُه، وقد عرف علم الأخلاق عناية علماء الإسلام والغربيين، لذا نجد له حضورا كبيرا في الحضارتين الغربية والإسلامية، وإن كان حضوره في الفلسفة الغربية يمتدّ إلى عهود سحيقة مع أعلام وأساطين الفلسفة اليونانية كسقراط وأفلاطون وأرسطو،حيث طرح هؤلاء الأعلام فكرة أخلاق السعادة، فإن حضوره في الحضارة الإسلامية ارتبط مع رسالة النبي ﷺ الذي عبّر في مقصدية مبعثه بكونه جاء مُتمما لمكارم الأخلاق، وقد بذل فلاسفة الغسلام جهودا كبيرة في الدرس الأخلاقي واسهموا بحظ وافر فيه شرحا ودراسة وتنظيرا ،وهي جهود حاول بعضها جمع ما تناثر من موضوعات الأخلاق في تعاليم الإسلام كما هو عند محمد بن سحنون، وحاول بعضها الآخر التوفيق بين تعاليم الإسلام والحضارات الأأخرى كما هو عند ابن سينا في حين سعى البعض إلى محاولة الاستقلالية المنهجية في الدرس الأخلاقي فطرح أبو حامد الغزالي فكرة علم أخلاقي أصيل أطلق عليه علم الآخرة وهو محاكاة للتجربة الإسلامية.

ونظرا للتطور الهائل والتحول الجذري في الفكر الفلسفي المعاصر في شقية الغربي والإسلامي والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية برزت اتجاهات جديدة في الدرس الأخلاقي حاكى أصحابها حضارة الراهن فقامت بعض الاتجاهات على نزعات مادية وتجريبية وتطورية وبروز اتجاهات حداثية عقلانية رأت في العقل المصدر الوحيد والأوحد للأخلاق، مما دفع فلاسفة الإسلام ومفكريه للإسهام في الدرس الأخلاقي ومحاولة استلهام نظرية أخلاقية من القرآن الكريم ،وهو المشروع الذي طرحه عبد الله درّاز ورافع عنه في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم حيث أكدّ على وجود جذور نظرية أخلاقية في القرآن الكريم، في حين سعى بعض

المعاصرين في طرح مشروع أخلاقي إسلامي من خلال نقد الحضارة والحداثة الغربية، وهو ما طرحه الفيلسوف طه عبد الرحمن في كتابه من خلال كتابه سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية .

إن الوقوف على مشروع عبد الله دراز- رحمه الله— ومشروع الفيلسوف طه عبد الرحمن جزءٌ لا يتجزّأُ منْ روحِ الإسلام وجوهره، فما تُعانيه الأمّةُ الإسلاميّة اليوم منْ تراجعٍ وتخلّفٍ إنّما كان بسببِ غيابِ القيمِ والفضائلِ ومكارمِ الأخلاق، فالحديثُ عن مشروع أخلاقي إسلامي اليوم ليس حديثًا عن تقويم سلوك فردي بل حديثٌ عن الأمّةِ والدّولةِ مُمثّلةً في أفرادها ومؤسّساتها، فإصلاحُ الفردِ وتقويمُ أخلاقه طريقٌ لإصلاحِ الدّولةِ والأمّةِ في عصرٍ أفرزتْ فيه العولمةُ ذوبانًا لكلِّ القيم والثّوابت، انطلاقًا من هذا الأساس تأتي هذه المطبوعة تأكيدا لإسهام الإسلام عقيدة وشريعة في صياغة منظومة أخلاقية مُتممة لتعاليم الأنبياء والحكماء والقديسين، وتأكيدا لكونية الأخلاق وعالميتها، وإبرازنا لإسهام علماء الإسلام في الدرس الأخلاقي حديث عن لبنة —كما عبر عنها النبي ﷺ- توضع في مشروع بناء القيم التي تُسهم في صياغة إنسان الراهن الذي ابتلعته الأنانية وأنهكته الحروب والصراعات وقطعت رحمه المذاهب والايديولوجيات —المكرسة- فشوهت فطرته وطمست بصيرته. فالدرس الأخلاقي بذرة لتجسير ما انقطع وماء حياة يُمكنه أن يُسهم في عودة الروح المثمرة لعودة الأرض وعودة الكرامة والإنسانية.

وقدْ حاولتُ جهدي أنْ تكون هذه المطبوعة في غاية الاختصارِ والبساطةِ وابتعدتُ قدرَ الإمكانِ عن التّعقيدِ مُراعيًا في ذلك كلّه المخاطَبين الذين تُقدَّم لهم هذه الدراسة على اختلاف أمزجتهم ومشاربهم ومستوياتهم واستعداداتهم النفسية وميولهم العاطفية ،فكلها عوامل تُسهم في قراءة النصّ وتُغذّي معانيه ،كما آمل أنْ تُساهمَ هذه الدراسة في استنهاضِ همّةِ قارئها في محاولةِ اكتشافِ عالمِ الأخلاق وتوظيفِ الخبراتِ والجهود الإنسانية — على اختلافها الملّي- في واقعنا المعاصر.

وقد قسّمتُ هذا العمل إلى أربعة محاور رئيسة، تتمثل فيما يلي: تعريف الأخلاق وأهميتها.

-نشأة علم الأخلاق وأهم النظريات الأخلاقية.-النظرية الأخلاقية في الإسلام.-سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر مقارنا بالخطاب الغربي –كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن نموذجا- وذيّلتُ ذلك كلّه بخاتمة خلُصت من خلالها إلى مجموعة من النتائج .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الأستاذ قول معمر

بطاقة حول المقياس

عنوان الماستر : العقيدة الإسلامية

السداسي : الثاني.

اسم الوحدة : استكشافية.

اسم المادة : مدخل إلى علم الأخلاق.

الرصيد:01.

المعامل:01.

أهداف التعليم:

- تعريف الطالب بأهمية الأخلاق وضرورتها.
- تمكين الطالب من الاطلاع على الأنظمة الأخلاقية (نظرة مقارنة).
- مواكبة الدراسات الأخلاقية والفلسفية المعاصرة.

محتوى المادة وفق المقرر الوزاري:

1. تعريف الأخلاق وأهميتها.
2. نشأة علم الأخلاق وأهم النظريات الأخلاقية.
3. النظرية الأخلاقية في الإسلام.
4. سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر مقارنا بالخطاب الغربي –كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن نموذجا-

المحور الأول: تعريف الأخلاق وأهميتها:

1. :تعريف الأخلاق

1.1.لغة:

يُعتبر الحقل المعجمي العربي ثريا بمُصطلح الخُلق ،والخُلُق بضمتين أو خُلْق بضمة واحدة ، مفرد أخلاق ،ولها عدّة معانٍ،منها الطبع والسجية ،والخليقة هي الطبع في الإنسان ،ورجل لا خَلاقَ له ليس له رغبة في الخير ولا صلاح له في الدين وخُلُق الإنسان ما طُبع عليه.[1]

وخُلُق الرّجل سجيته. وفلان يتخلّق بغير خلقه، أي يتكلّفه ويقال له خلق حسن وخليقة وهي ما خلق عليه من طبيعته ،وهو خليق لكذا: كأنما خلق له وطبع عليه.[2]

وفي القاموس المحيط الخُلْقُ،والخُلُق بالضم وبضمتين السجية والطبع والمروءة والدِّين.[3]

وفي تاج العروس في ويقال للذي قد ألف شيئا: صار ذلك له خُلُقا، أي: مَرَن عليه، ومن ذلك الخُلق الحسن.[4]

---

[1] انظر: جمهرة اللغة، جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط01، 1987 ج 01،ص 618.وانظر: تهذيب اللغة تهذيب اللغة ،محمد الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط01، 2001،،ج 07،ص 17.

[2] انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،أبو نصر الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت ، ط04، 1987 م،ج04، ص 1471.وانظر أساس البلاغة، الزمخشري جار الله ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998،ج01،ص 264.

[3] القاموس المحيط القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط08، 2005 م،ج01،ص 881.

[4] انظر: تاج العروس ، تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي التحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ، ج 253/25 -254

وفي مختار الصحاح فلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلّفه.[1]

وفي لسان العرب الخلق، بضم اللام وسكونها: هو الدّين والطبع والسجيّة، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. [2]

هذه بعض المعاني اللغوية التي وقفنا عليها ،ويتضح بالتأمل فيها أنها تدور حول معاني مركزية ،منها : اعتبار الخُلُق ما كان طبعا وسجية في الإنسان ،لا يحتاج إلى كُلْفة في إظهاره أو القيام به ،فهو جِبلّة في الإنسان وشيء مغروس بداخله ،كما أنه ينصرف إلى الدين ،فيقال رجل على خُلُق بمعنى أنه على دين يظهر في سلوكاته وأقواله ،وهو ما يؤيده قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقة وإن خالها تُخفى على الناس تُعلم، والمعنى : مهما كان للإنسان من خُلُق فظن أنه يخفى على الناس عُلِم ولم يخف، فالأخلاق لا تخفى والتخلّق لا يبقى.[3]

وهذا المعنى يؤيده أيضا قوله تعالى حكاية عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم /04.ومن المعاني اللطيفة في تفسيرها قول الإمام الجنيد :" سمي خلقه عظيما؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل ." [4]،وهذا ظاهر وملحوظ في سيرة المصطفى ﷺ،إذ كانت حياته كلّها لله وبالله منذ طفولته ،ولما كان حضور الحقّ ظاهرا في حياته كلّها أضحى له خُلُقا وتاجا ومعلما به يُعرف ﷺ،فالخُلُق معلم بارز يظهر في سيرة كل أحد. حسنا كان أو قبيحا.

---

[1] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا ط05، 1999م،ص 95.

[2] لسان العرب، جمال الدين ابن منظور ،الناشر: دار صادر ، بيروت، ط03، 1414هـ، ج10،ص 87 بتصرف.

[3] انظر: شرح المعلقات السبع، الزوزني،دار إحياء التراث العربي ، ط2002،01،ص 151.

[4] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تح: حمد عبد الله القرشي، النّاشر حسين عبّاس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ،، ج 07،ص 106.

ومن المعاني التي يوحي بها الخُلق أيضا الإلْف والتعود والتمرّن على الشيء حتى يستحكم وتعتاده النفس،وهو إحالة إلى كون الخُلق يكون بالاكتساب أيضا.

2.1–تعريف الأخلاق اصطلاحا:

يعتبر الدرس الأخلاقي حقلا خصبا ومجالا ثريّا عرف عناية الفلسفات والأديان المختلفة على مرّ العصور ،وللفظ الأخلاق في اللغة العربية ما يُقابله في اللغات الأخرى ففي الفرنسية تعرف ب morale, ehtique ،وفي الانجليزية moral, ethics ،وفي اللاتينية moralis [1]، وقد عرف هذا المصطلح تعريفات عدّة سنحاول أن نقف معها مُراعين في ذلك التنوع الزمني والجغرافي والملّي ،وهو ما يؤكد على الميزة التي تتميّز بها الأخلاق كونها تحمل مضامين إنسانية وعالمية كونية ، :" وأما مفهوم الأخلاق لدى الفلاسفة فتابع في مقوماته للاتجاهات التي يدين بها هؤلاء الفلاسفة، فكل يعرف الأخلاق ويحدد معناها وخصائصها وفقًا للاتجاه الفلسفي الذي يعتنقه، ونحن نعلم أن هناك اتجاهات فلسفية متعددة ومختلفة حول الأخلاق مثل: الاتجاه الاجتماعي والمثالي والتجريبي والواقعي والعقلي والحدسي والنفعي، وما إلى ذلك ." [2]

فما هي أبرز تلك التعاريف ؟.

1–ابن مسكويه (**ت421هـ**):يُعتبر ابن مسكويه من أبرز العلماء الذين اهتموا بالدرس الأخلاقي في كتابيه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق وكتابه الفوز الأصغر ،وقد عرّف الخُلق بكونه:" حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة ." [3]

---

[1] انظر: المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ،دار الكتاب اللبناني+مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان،ط1982، ج01،ص 49.

[2] علم الأخلاق الإسلامية،مقداد يالجن،دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض،ط02، 2003،ص34.

[3] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،ص 265.تحقيق :عماد الهلالي ،منشورات الجمل ،بغداد،بيروت ،ط01، 2011،ص 265.

وكون الخُلق حال للنفس يعني كونه سجيّة مُستقرّة وثابتة تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى إعمال فكر أو رويّة ،فهو بمثابة السليقة ،ومن شعر العرب :

ولست بنحويّ يلوك لسانه ولكن سليقيّ أقول فأعرب [1]

فالسليقة إخراج الكلام على وجه مُعرب صحيح دون حاجة إلى قواعد ،فكذلك الخُلق المستقر الثابت في النفس يصدر دون فكر أو رويّة .

وقد قسم ابن مسكويه الخُلُق بهذا الاعتبار إلى قسمين :أولهما ما كان طبيعيا من أصل المزاج كمن يحرّكه أدنى شيء نحو الغضب ،أو كمن يضحك ضحكا مُفرِطا من أدنى شيء ،وثانيهما :ما كان مُستفادا بالعادة والدُّربة ،فيكون في أول أمره فكرا ،ثم يستمر عليه حتى يصير ملكة وخُلُقا .[2]

2–أبو حامد الغزالي :اعتنى أبو حامد الغزالي بالدرس الأخلاقي في كتابيه إحياء علوم الدين ،وكتابه ميزان العمل ،وقد عرّف الخُلُق بأنه :" عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا ." [3]

وهذا التعريف الذي ذكره الغزالي يقترب من تعريف ابن مسكويه ولعله مقتبس منه ،مما يؤكد اطلاع الغزالي على كتاب ابن مسكويه في الأخلاق.

وما أضافه الغزالي في تعريفه الإشارة إلى معيار تمييز الأخلاق وتصنيفها إلى حسن وقبيح ،وهذا المعيار هو المدح والذم ،والتحسين والتقبيح ،فما حسّنه الشرع وحمد فاعله كان خلُقا حسنا وما ذمه الشارع وذمّ فاعله كان خُلُقا قبيحا ،وهو معيار دقيق جدا ،يدفع الوهم الذي يقع فيه

---

[1] انظر: أساس البلاغة، مرجع سابق، ص 469.

[2] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مرجع سابق ،ص 265

[3] إحياء علوم الدين،أبو حامد الغزالي، دار المعرفة ، بيروت،بدون تاريخ ،ج03،ص 53.

الكثير حين يلحقون بدائرة الأخلاق سلوكات غير أخلاقية ،إذ ليس كل ما يصدر من الإنسان من سلوكات داخل في الأخلاق ،فمنه ما هو بحكم العادات ،وهو ما نبّه إليه عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني بقوله :

" وحشر أنواع السلوك الإنساني تحت عنوان الأخلاق خطأ فادح ،يوقع في أخطاء أخرى أكثر وأكبر منه ،والذي أوقع كثيرا من الباحثين في موضوعات الأخلاق في أخطاء جوهرية عدم تمييزهم بين أنواع السلوك الإنساني ." [1]

من هذا المنطلق نبّه عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني على المعيار الذي أشار إليه الغزالي في تصنيف الأخلاق إلى حسن وقبيح وهو معيار المدح والذم ،وعليه فالأخلاق الحميدة كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس على استحسانه ومدحه على اختلاف أديانها ومذاهبها وعاداتها ،والأخلاق المذمومة كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس على استقباحه واستنكاره وذمّه، على اختلاف أديانها ومذاهبها وعاداتها .[2]

وعليه قد تدفعنا عبارة الهيئة المستقرة في النفس إلى اعتبار بعض ما يستقر في نفوسنا خُلقا وهو ليس كذلك فقد يكون المستقرّ فيها غرائز وقد يكون لها أثر محمود في السلوك لكن لا صلة لها بالأخلاق ،ومثال ذلك غريزة الجوع التي تدفعنا إلى الأكل والشرب ،فليست خُلقا في ذاته ،لكن الشره الزائد عن الحد يكون له أثر مذموم وهو،وعكسه الرضا بالقليل من الطعام وهو مُثمر للقناعة .[3]

وفي ميزان العمل يبيّن الغزالي طريق اكتساب الخلق الحسن ،وطريقه لطالبه يكون ، :"بأن يزيل جميع العادات السيئة، التي عرّف الشرع تفاصيلها، ويجعلها بحيث يبغضها، فيجتنبها كما

---

[1] الأخلاق الإسلامية وأسسها ،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،دار القلم،بيروت ،لبنان، ط05، 1999،ج01ص 13.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها،مرجع سابق، ج01، ص 16 بتصرف.

[3] الأخلاق الإسلامية وأسسها،مرجع سابق، ج01، ص 10-11 بتصرف.

يجتنب المستقذرات. وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها، ويتنعّم بها كما قال ﷺ" «جعلت قرة عيني في الصلاة »[1]

وما أشار إليه الغزالي إشارة إلى إمكانية تغيير الخُلق السيء واكتساب الحسن منه بالدّربة والتعوّد ،وقد عقد مبحثا في كتابه ميزان العمل حول بيان إمكانية تغير الخلق ،ومما جاء فيه :" لقد ظنّ بعض المائلين إلى البطالة أن الخُلق كالخَلق، فلا يقبل التغيير. والتفت إلى قوله عليه ﷺ: « فرغ الله من الخَلق »[2]. وظن أن المطمع في تغيير الخُلق، طمع في تغيير خَلق الله عزّ وجل، وذهل عن قوله ﷺ: «حسّنوا أخلاقكم » [3]. وإن ذلك لو لم يكن ممكناً، لما أمر به، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب ." [4]

ويُمثل الغزالي بإمكانية تغيير خُلق الإنسان بإمكانية تغيير خلق البهائم ، من التوحش إلى التأنّس، كما يُغيّر سلوك الفرس من الجماح إلى السلاسة ،وإن كان هذا ممكنا مع الحيوان فكيف يُنكر مع الإنسان بتهذيب سلوكه بكونه عاقلا !. [5].

---

[1] ميزان العمل ،أبو حامد الغزالي ،تحقيق :سليمان دنيا ،دار المعارف، مصر ،ط 01، 1964 .،ص 255

* أَخرجه النسائي في عشرة النساء، باب حب النساء، رواه أيضاً أحمد في " المسند ".وإسناده حسن. وعند أحمد النساء والطيب وجعلت قرة عيني

[2] جزء من حديث « لما فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ عَلَى عَرْشِهِ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » . أخرجه أحمد 2 في مسنده /397 (9148) و"النَّسائي" في "الكبرى" 7704. انظر: المسند الجامع ،تحقيق: محمود محمد خليل ،دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1993 م ، ج18،ص 314.

[3] أخرجه أَبُو بكر بن بلال فِي مَكَارِم الْأَخْلَاق من حَدِيث معَاذ «يَا معَاذ حسن خلقك للنَّاس» مُنْقَطع وَرِجَاله ثِقَات .انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار،الحافظ العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان ،ط 01، 2005 م ،ص 937.

[4] ميزان العمل ،مرجع سابق،ص 247.

[5] ميزان العمل ،مرجع سابق،ص 247.

3–عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:عرّف الميداني الأخلاق بأنها :"صفة مُستقرّة في النفس –فطريةّ أو مُكتسبة – ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة ." [1]

وهذا التعريف متضمن لقيد مُشترك أشار إليه من قبل ابن مسكويه والغزالي ،من حيث كون الخُلق صفة مُستقرّة في النفس ،أي ثابتة ،ثم أشار إلى نوعين من الأخلاق **أولهما** : ما كان فطريا بأصل الجِبلّة والخِلقة ،وهو ما يشهد له قول النبي للأشجّ «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمُ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ .» [2]،وهذا القيد أشار إليه من قبل ابن مسكويه فيما كان طبيعيا من أصل المزاج.**وثانيهما**: ما كان مُكتسبا بطريق الدّربة والاعتياد والمجاهدة والرياضة ،وهو ما أشار إليه الغزالي في الإحياء حول قبول الأخلاق للتغير بالرياضة وكذا التمثيل الذي قدمه في ميزان العمل حول إمكانية تغيير سلوك البهائم من التوحش إلى الأنس ،وهو في الإنسان أكثر ظهورا لخصيصة العقل [3].

ومن الدلائل على إمكانية اكتسابه تعليم الأولاد والصبيان واكتسابهم الآداب والأخلاق والفضائل ،منها قوله النبي ﷺ في تعليم الأولاد «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [4].

وفي آداب المعلمين لابن سحنون منهج تربوي فريد في تعليم الصبيان وتأديبهم ،ومما جاء في سياق الحديث السابق :

---

[1] الأخلاق الإسلامية وأسسها ،مرجع سابق،ج 01،ص 10.

[2] أخرجه بهذا اللفظ أبو داوود في سننه أُمُّ أَبَانَ بِنْتُ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ، عَنْ جِدِّهَا، زَارِعٍ،بَابٌ فِي قُبْلَةِ الرَّجُلِ،رقم:5225.

[3] انظر في هذا :إحياء علوم الدين،مرجع سابق،ج 03،ص 49.وانظر أيضا :ميزان العمل ،ص 247.

[4] أخرجه أبو داوود في سننه عن ع عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ، بَابُ مَتَى يُؤْمَرُ الْغُلَامُ بِالصَّلَاةِ رقم: 495.

" قال سحنون وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر ،وكذلك قال مالك حدثنا عنه عبد الرحمن ،قال :قال مالك

يضربون عليها بنو عشر ويفرق بينهم في المضاجع ،قلت الذكور والإناث ؟ قال : نعم ." [1]

وقد أورد ابن مسكويه في تهذيب الأخلاق مبحثا خاصا بأخلاق الأحداث [2] ،وبيّن أنهم أسرع الفئات إلى اكتساب الفضائل ،فقال :" ...وهي تُشاهد وتُعاين فيهم ،وخاصة في الأطفال ،فإن أخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يستروها برويّة ولا فكر كما يفعل الرجل التامّ الذي انتهى في نشئه وكماله إلى حيث يعرف من نفسه ما يُستقبح منه ،فيُخفيه بضروب من الحيل والأفعال المضادّة ،أما في طبعه وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الآداب أو نفورهم عنه ،أو ما يظهر في بعضهم من القُحّة ،وفي بعضهم من الحياء ،وكذلك ما نرى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده ..." [3]

وقد أشار العلامة ابن خلدون في مقدمته في الفصل الواحد والأربعين إلى تعليم الصبيان والولدان وضرورته في اكتساب الآداب والفضائل ،وقدّم مثالا لذلك بصنيع الخليفة هارون مع مؤدب ولده خلف الأحمر ،فقال له : " يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه و ثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة و طاعته لك واجبة و كن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن و عرفه الأخبار و روه الأشعار و علمه السنن و بصره بمواقع الكلام و بدئه و امنعه من الضحك إلا في أوقاته و خذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه و رفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه. و لا تمرن بك ساعة إلا و أنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه. و

---

[1] آداب المعلمين ، محمد بن سحنون ، تحقيق: حسن حُسني عبد الوهاب ،مطبعة المنار ، تونس ، 1972، ص 109.

[2] الأحداث من حداثة السن: كناية عن الشباب وأول العمر .انظر :لسان العرب،مرجع سابق ،ج 02،ص 132.

[3] تهذيب الأخلاق ،مرجع سابق ،ص 269.

لا تمعن في مسامحته فيستجلي الفراغ و يألفه. و قومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة و الغلظة. " [1]

فانظر إلى جملة الآداب والأخلاق التي يُمكن للأولاد والصبيان تلقيها . (الطاعة- قلّة الضحك-تعظيم المشايخ-رفع همته-الجد وعدم الهزل-الشدة والغلظة وتجنب اللين- محبة العلم) والقيد الآخر الذي ذكره الميداني في تعريفه للأخلاق كونها ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة ،وهو إشارة إلى معيار تمييز السلوكات الأخلاقية من غيرها بالنظر إلى المدح والذم ،فكل سلوك لا يلحقه المدح أو الذم لا يُعتبر سلوكا أخلاقيا ،وهو ما جرى مجرى العادات كالأكل والشرب ،وهو ما عبّر عنه الأصوليون بالمباحات ،وحدّها :" ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه، فلم يطلب الشارع أن يفعل المكلف هذا الفعل ولم يطلب أن يكف عنه. " [2]

4- رينيه لوسن [فيلسوف أخلاقي فرنسي 1882-1954]: عرّف الأخلاق بأنها :" مجموع مُتفاوت النسق من التحديدات المثالية والقواعد والغايات التي يجب على الأنا - منظورا إليه على أنه مصدر مُطلق ،إن لم يكن شاملا للمستقبل –أن يحققها بفعله في الوجود حتى يزداد هذا الوجود قيمة ." [3]

وهذا التعريف مُتضمن للقواعد النظرية التي ينبغي للأنا تحقيقها بالفعل والسلوك على أرض الواقع حتى يُضفي على الوجود قيمة ،وهو تعريف يهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان من خلال الفعل الأخلاقي الذي يجعل للإنسان وظيفة وغاية ولحياته قيمة .

---

[1] المقدمة ،عبد الرحمن بن خلدون ،تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار البلخي+ مكتبة الهداية، دمشق،ط 2004،ج 02،ص 356-357.

[2] علم أصول الفقه ،عبد الوهاب خلاف ،دار القلم ،بيروت، ط08،بدون تاريخ ،ص 115.

[3] نقلا عن موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ، ط01، 1984، ج02،ص 370

5-أندريه لا لاند [فيلسوف فرنسي 1867-1963]: عرّف الأخلاق بأنها :" مجموعة القواعد السلوكية المعتبرة صالحة بلا شرط ." [1]

وهذا التعريف يقترب من تعريف لوسن بالنظر إلى القواعد النظرية التي ينبغي استصحابها والتي تشكل نسقا معرفيا ونظريا للسلوك الإنساني ،ويرى عبد الرحمن بدوي في موسوعته أن الأخلاق عند لالاند تقدم طابعا تضامنيا ،فالعدالة مثلا هي رؤية الأشياء ورؤية النفس بطريقة لا شخصية ،والنظر إلى أشباهنا في الإنسانية هو نظر إلى أنفسنا ،ومن هنا يدعو لالاند في الأخلاق إلى العمل على تقليل الفروق بين المواطنين ،وهي الفروق التي يولدها اختلاف الطبقات والوظائف ولإلى محاربة كل استغلال وما ينجم عنه من عدم المساواة ،وإلى إشراك الشعب كله قدر الإمكان في الحياة العقلية ." [2]

وعليه تغدو الأخلاق عند لالاند ذات قيمة بقدر ما تحققه من مساواة وعدالة بين الناس ،وبقدر ما تحققه من تضامن وتكافل بين طبقات المجتمع .

3.1-تعريف علم الأخلاق :أشرنا فيما سبق إلى تعريف الأخلاق وارتباطها بالسلوك الإنساني من حيث حسنُه وقُبحه مدحا وذما،لذا كان العلم المهتم بالسلوك الإنساني بهذا الاعتبار هو علم الأخلاق الذي يسعى إلى وضع قواعد معرفية عملية يكون السلوك الإنساني على مُقتضاها ،فما تعريف علم الأخلاق؟ .

يُسمى علم الأخلاق la mrale بعلم السلوك أو تهذيب الأخلاق أو فلسفة الأخلاق ehtique أو الحكمة العملية أو الحكمة الخُلقية [3]،فما هو تعريف علماء الأخلاق له ؟.

---

[1] موسوعة لالاند الفلسفية ،لالاند ،تعريب : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ،بيروت- باريس ،\02، 2001، ص 839.

[2] موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج02،ص 346-347.

[3] المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ،مرجع سابق ، ج01،ص 50.

1-تعريف ارسطو:في رسالة أرسطو (علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس) يجعل أرسطو الأخلاق مرتبطة بعلم السياسة فالخير عنده يتبع العلم الأعلى وهو على التحقيق علم السياسة ،فهو الذي يُعيّن ما هي العلوم الضرورية لحياة الممالك ،وما يجب على أهل الوطن تعلمه وما هو الحد الذي ينبغي أن يعلموه ،فالعلوم الأعلى مكانة في الشرف تابعة للسياسة ،فعلم السياسة يستخدم جميع العلوم العملية الأخرى ،فهو الذي يأمر باسم القانون ما ينبغي عمله وما ينبغي تركه ،وعليه يكون غرض السياسة هو الخير الحقيقي الأعلى للإنسان [1].

وعلى هذا الأساس يكون علم الأخلاق عند ارسطو فرعا لعلم السياسة الذي يُعنى بتدبير المملكة ،فالسياسة تسعى لتحقيق الخير الأعلى ،وإذا سألنا عن طبيعة هذا الخير يُجيبنا ارسطو :" هو الخير الأعلى الذي يمكننا أن نتبعه في جميع أعمال حياتنا ،وإن اللفظ الذي يدل عليه مقبول تقريبا عند الناس جميعا ،فالعامي كالناس المستنيرين يسمي هذا الخير الأعلى للسعادة ،وفي رأيهم العام أن طيب العيشة وحسن الفعل مُرادف لكون الإنسان سعيدا . " [2]

وعليه فعلم الأخلاق هو فرع لعلم السياسة عند أرسطو يهدف إلى تحقيق الخير الأسمى للناس جميعا .وسنتوقف مع هذا المعنى عندما نتحدث عن نشأة علم الأخلاق ومذهب السعادة في الفلسفة اليونانية .

2-وليام ليلي (1821-1893) :في كتابه مقدمة في علم الأخلاق يُعرف وليام ليلي علم الأخلاق بأنه :" العلم المعياري لسلوك الكائنات البشرية التي تحيا في المجتمعات ،وأنه العلم الذي يحكم على مثل هذا السلوك بالصواب أو الخطأ بالصلاح أو بالطلاح ." [3]

---

[1] علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس ،أرسطو،ترجمه من اليونانية ،بارتلمي سانتهلير ،نقله إلى العربية : أحمد لطفي السيد ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1924، ج 01،ص 171-172 بتصرف.

[2] علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس،مرجع سابق ، ج 01،ص 175.

[3] ويليام ليلي ،مقدمة في علم الأخلاق ،ترجمة: علي عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ،ط 2000، ص 26.

وهذا التعريف إشارة إلى الوظيفة التقييمية لعلم الأخلاق والمتعلقة بالسلوك البشري عموما من حيث صوابه وخطأه .وهو ما وضحه ويليام ليلي حين بيّن أن الأحكام القيمية تقوم بها العلوم المعيارية كالمنطق والجمال والأخلاق ،فالأخلاق علم معياري للسلوك ،والسلوك اسم جمعي للأفعال الاختيارية الإرادية ،وهذا الاختيار هو ما يُميّز سلوك الإنسان عن غيره .[1]

3–أ.س.رابوبرت: في كتابه مبادىء الفلسفة يُعرّف رابورت علم الأخلاق بأنه علم :" يوضح لنا الحياة الأخلاقية، ويعين الوسائل لامتحان الآراء الأخلاقية التي تظهر في شكل عرف وعادات، ويعيننا على معرفة الغاية الأخيرة للحياة، ويساعدنا على النظر في النُّظم لإبقاء ما يصح منها للبقاء، وإصلاح الفاسد،ونبذ ما لا يصلح، ويبين المقياس الأخلاقي الذي به نحكم على الأعمال، وبه نهتدي في ميولنا وأفعالنا." [2]

تضمن هذا التعريف الإشارة إلى الدور المنوط بعلم الأخلاق المتمثل في العمل على تحقيق الغاية من الوجود الإنساني والعمل على غربلة السلوكات والأعراف والعادات والإبقاء على ما يصلح منها للحياة الاجتماعية ويُعين الإنسان على تحقيق غاية وجوده .

4–جين ماري جوييو [فيلسوف فرنسي 1854–1888]

يُعرف علم الأخلاق بأنه :"علم موضوعه كل وسائل المحافظة على الحياة الماديّة والعقليّة وتنميتها."[3]

تضمن هذا التعريف الإشارة إلى المطالب الماديةّ الحسية والمطالب العالية العقلية ،مما يجعل علم الأخلاق ذلك العلم الذي يسعى الإنسان من خلاله إلى تحقيق سعادته من خلال الموازنة بين الحياة المادية والعقلية ،وهذه هي طبيعة الإنسان باعتبار تركيبته ووظائفه .

---

[1] مقدمة في علم الأخلاق ، مرجع سابق ،ص 27 بتصرف .

[2] مبادىء الفلسفة ، أ.س.رابوبرت ، ترجمة : أحمد أمين ، مؤسسة هنداوي ،مصر ، ط 2012، ص 46-47

[3] موسوعة الفلسفة ،بدوي ،مرجع سابق ، ج01، ص 451.

وقد بيّن عبد الرحمن بدوي في موسوعته أن الأخلاق عند **جوييو** تقوم على ثنائية الأثرة والإيثار (الفردي والجماعي) ،فالإيثار ليس مُضادا لطبيعة الإنسان بل هو على وفق الطبيعة ،فالحياة عنده ليست مجرّد اغتذاء ،بل هي إنتاج وخصوبة ،فهي إنفاق بقدر ما هي اكتساب .[1]

5–تعريف ابن مسكويه: يرى ابن مسكويه أن علم الأخلاق صناعة من أفضل الصناعات لأنها :" تُعني بتجويد أفعال الإنسان بحسب ما هو إنسان ...وجب أن تكون الصناعة التي تعني بتجويد أفعال الإنسان حتى تصدر عنه أفعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره ورفعه عن رتبة الأخس التي يستحقق بها المقت من الله والقرار في العذاب الأليم أشرف الصناعات كلها وأكرمها." [2]

وعلى هذا الأساس فعلم الأخلاق صناعة هدفها تحسين أفعال الإنسان بما يتوافق وجوهره ،وجوهره روحه ومطالب هذا الأخير الكمالات والفضائل والقيم بعكس جسده الذي مطلبه السفليات والماديات ،ولتأكيد أهمية هذا العلم وشرفه يُحيلنا ابن مسكويه إلى مختلف الصناعات الأخرى كالدباغة التي تعني باستصلاح جلود البهائم الميتة و صناعة الطب والعلاج وغيرها ،فشرف الصناعة بشرف موضوعها .

6–أبو حامد الغزالي : يرى الأستاذ زكي مبارك في دراسته عن الأخلاق عند الغزالي أنه ليس هناك تحديد دقيق لدى الغزالي لعلم الأخلاق وكأنه أراد أن يخلق لنفسه مسلكا مُخالفا لما وضعه فلاسفة اليونان من قبله ،لذا نراه يعمد إلى توظيف مُصطلحات هي من صميم التجربة الإسلامية ، فهو تارة يسميه علم طريق الآخرة، وأخرى يسميه علم صفات القلب، وحينًا يسميه أسرار معاملات الدين، وربما سماه أخلاق الأبرار، فعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها إلى ما

[1] موسوعة الفلسفة ،بدوي ،مرجع سابق ، ج01، ص 451.

[2] تهذيب الأخلاق ،مرجع سابق ، ص 270.

رسمته الشريعة وخطه رجال المكاشفة من علماء الإسلام، ومن سبقهم من الأنبياء والصديقين والشهداء .[1]

وهذا الذي أشار إليه زكي مبارك ذكره الغزالي في مقدمة كتابه الإحياء :" فعلم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا ... رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب إحياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحا لمباهي العلوم النافعة عند التبيين والسلف الصالحين ،وقد أسسته على أربعة أرباع وهي ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات ." [2]

وهذه الأرباع الأربعة التي بنى عليها الغزالي كتابه مُتضمنة لجملة الأخلاق محمودها ،فيدخل في ذلك الأخلاق الدينية التي تجسدها العبادات من صلاة وزكاة وصوم وغيرها ،والمنجيات وهي المقامات التي أرساها الوحي ودار عليها كلام أساطين التصوف من شكر وصبر ورضا وغيرها ،أما المذموم من الأخلاق فهو ما دخل تحت الربع الأخير الذي اصطلح عليه الغزالي بالمهلكات وأبرزها كما في الإحياء العُجب والغرور والكبر وآفات اللسان وغيرها .

وهذا الرؤية التي قدمها الغزالي تجعل علم الأخلاق غير مُنفك أو منفصل عن الدين بل هو روح الإسلام ،لقوله ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق» .[3]، وسنعالج علاقة الأخلاق بالدين في موضع لاحق .

---

[1] أنظر الأخلاق عند الغزالي ،زكي مُبارك ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ط 2012،ص 147 بتصرف.

[2] إحياء علوم الدين ،مرجع سابق ، ج 01،ص 02.

[3] ذكره مَالك فِي الْمُوَطَّأ بلاغا عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقَالَ ابْن عبد الْبر هُوَ مُتَّصِل من وُجُوه صِحَاح عَن ابي هُرَيْرَة وَغَيره عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي مُعْجَمه من حَدِيث جابر .أنظر التذكرة في الأحاديث المشتهرة ،بدر الدين الزركشي الشافعي تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط01، 1986،ص 89.

7–أحمد أمين:في كتاب الأخلاق يُعرّف أحمد أمين علم الأخلاق بأنه :

"علم يوضّح معنى الخير والشرّ، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي." [1]

تضمن هذا التعريف الإشارة إلى وظيفة علم الأخلاق وهو معرفة الخير من الشر وتنظيم علاقات الناس بعضهم مع بعض وفق قواعد أخلاقية وإنارة الطريق للإنسان فيما يُقبل عليه من أعمال وسلوكات.

8–مقداد يالجن :في كتابه علم الأخلاق يُعرّف علم الأخلاق بأنه :" علم الخير والشر والسلوك النافع والضار، والطيب والخبيث، ولهذا عندما يحاول بعض العلماء بيان قيمة علم الأخلاق بالنسبة للعلوم الأخرى فمنهم من يقول: إنه إكليل العلوم جميعًا، ومنهم من يقول: إنه تاج العلوم، ومنهم من يقول: إنه زبدة العلوم، ذلك أن العلوم الأخرى أساسا تساعد على الأخلاق في الكشف عن الخير والشرّ، وعن النافع والضّار، وهما موضوع الأخلاق. [2]

وفي هذا التعريف إشارة إلى شمولية علم الأخلاق واستغراقه لحياة الإنسان كلّها من بدئها إلى منتهاها ،فهو متغلغل في العلوم جميعا ،إذ غاية ما تسعى إليه العلوم تحقيق سعادة الدارين وتحقيق مبدأ الاستخلاف بمعرفة الخير والشر ،والعلوم جميعا وسيلة يكشف الإنسان من خلالها مبدأ الخير والشرّ ويسعى إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد .

[1] كتاب الأخلاق ، أحمد أمين ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ،ط 2012،ص 09.

[2] علم الأخلاق الإسلامية ،مقداد يالجن محمد علي ،دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض ،ط02، 2003،ص 07.

خلاصة التعاريف:

من خلال التعاريف السابقة لعلم الأخلاق والتي جاءت مزيجا بين الرؤية الفلسفية والتجربة الدينية الإسلامية ،أمكن لنا أن نستخلص بعض النتائج منها :

1-علم الأخلاق علم معياري موضوعه الرئيس السلوك الإنساني ،من حيث الحكمُ عليه صحة وخطأ حُسنا وقُبحا .

2-علم الأخلاق هو مجموعة من القواعد العملية التي نسعى إلى بناء سلوكاتنا وفقا عليها .

3-علم الأخلاق علم يُساهم في تدبير المملكة الإنسانية ،وهو ما تضمنه تعريف أرسطو حين جعله فرعا لعلم السياسة ،فهي أشرف العلوم عنده .

4-علم الأخلاق علم يسعى إلى تحسين حياة الإنسان المادية والعقلية الروحيّة كما جاء في تعريف جوييو،وفي هذا تأكيد على ترابط حياة الإنسان المادية والعقلية الروحية والعلاقة التكاملية بينهما ،فالإنسان جسد وروح ،ومطالبه مادية حسيّة وعقلية تجريديّة،والسعادة الحقّة في تحقيق كليهما.

5-علم الأخلاق علم ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان كما جاء في تعريف ابن مسكويه الذي جعل موضوع علم الأخلاق تجويد سلوك الإنسان ،وهي دعوة ضمنية إلى التحقق بالكمالات والفضائل ،وكذا إيماء منهجي إلى إمكانية تغيير السلوكات نحو الأفضل دوما ،فالإنسان قابل للتعلم والاكتساب لما تميّز به من ملكة العقل .

6-علاقة الأخلاق بالدّين ،وهو ما يتجلى في تعريف أبي حامد الغزالي الذي جعل علم الأخلاق قرينا لعلم الآخرة ،والأديان عقائد وشرائع تجمع بين العالم الحسي والعالم الغيبي ،والأديان السماوية التوحيدية أكدت على هذه الثنائية .

7-علم الاخلاق الإسلامية رأس العلوم جميعا ،فهو بمثابة الروح للجسد ،والعلوم جميعا متضمنة بطريق أو بآخر للأخلاق والفضائل وتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

8-شرف العلم بشرف موضوعه ،والسعي إلى معرفة الخير والشر وجلب المصالح ودرء المفاسد هي المطالب العالية للإنسان باعتبار جوهره – روحه-وعلم الأخلاق يسعى إلى تحقيق المطالب العالية والسعي لصياغة إنسان التكريم الإلهي .

2.أهمية الأخلاق وغايتها:

إن البحث عن الغايات والمقاصد التي تُرام من وراء تأسيس العلوم يُحيلنا للوقوف على موضوع هذه العلوم ،وعلم الأخلاق من خلال التعاريف السابقة موضوعه السلوكيات الإنسانية من حيث حسنُها وقُبحها والعمل على تجويدها ،أو هو محاولة ضبط السلوكيات وفق قواعد عملية ،ويُمكن لنا أن نستلهم من المؤلفات المختلفة في الدرس الأخلاقي الغاية التي رام المشتغلون بعلم الأخلاق تحقيقها ،ويُمكننا أن نحدد هذه الغاية من خلال النقاط المركزية التالية :

1-فهم أعمق لحقيقة الإنسان : من أبرز الغايات التي يُمكن للدرس الأخلاقي تحقيقها هو الاقتراب المنهجي من عالم الإنسان وفهم أعمق ومتوازن لعالمه ،فتسليطنا الضوء على سلوكات الإنسان من حيث حسنُها وقُبحها سعي ضمني إلى صياغة إنسان على وفق ماهية محددة سلفا ،هذه الماهية تجسدها عبارة (ما ينبغي أن يكون) ،فليس الإنسان جسدا فقط خاضع لشهواته وحاجاته يسعى كغيره من الكائنات لإشباع حاجاته البيولوجية ،إنه كائن مُكرم بطبيعة خِلقته (جسد وروح).

لهذا صدّر ابن مسكويه كتابه تهذيب الأخلاق بمقدمة منهجية يسعى من خلالها إلى الاقتراب من معرفة الذات ولوجا إلى عالم الإنسان الذي نسعى لتجويد أخلاقه ،فيقول:

" والطريق في ذلك أن نعرف أولا نفوسنا ماهي وأي شيء هي؟ ولأي شيء أوجدت فينا؟، أعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الأشياء العائقة لنا عنها وما الذي يزكيها فتفلح وما الذي يدسّيها فتخيب فإن الله عز من قائل

يقول:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ " [1](الشمس :من 07 إلى 09).

وجاء في بيان معناها :" أي: فاز بكل مطلوب، ونجا من كل مكروه من طهرها وأصلحها وجعلها زكية بالإيمان والطاعة، ... ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد. والتدسية: النفس والإخفاء ." [2]

حاول علماء الأخلاق الاقتراب من عالم الإنسان ،لكنها محاولة مؤسسة على بحث فلسفي يعتمد طرائق المنهج العقلي القائم على التعريف والتقسيم والبرهنة ،وهي أمور ضرورية لكنها تمنح لنا فرصة الاقتراب الجزئي من عالم الإنسان (عالمه العقلي والنفسي)، لذا يرى الأستاذ عبد الله درّاز في كتابه دستور الاخلاق في القرآن الكريم أن المنهج الأكمل في الدرس الأخلاقي هو ما جاء به القرآن الكريم لأنه يُقدم لنا رؤية أعمق وأشمل لعالم الإنسان وأبعاده المختلفة بخطاب يجمع بين عقله وقلبه ونفسه (الإنسان ككل) [3].

وعليه فمبدأ التخلّق مشروع يهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان وفق ماهيته التي وُجد عليها (ماهية الاستخلاف والعبودية) ،وفي هذا يُشير الأستاذ طه عبد الرحمن إلى هذا التلازم بين التخلق والتطلع إلى الإنسانية بقوله :" يُدرك المتخلّق أكثر من غيره أن الإنسان ما خُلق إلا ليتخلّق ،وأنه لا يكون له من الإنسانية إلا على قدر ماله من التخلّق الذي من أجله خُلق ،بحيث إذا قام بشرطه على تمامه ،حقّق الإنسانية فيه ،وإذا تركه سقط إلى رُتبة البهيمة ،ولما كان التخلّق في رتبة التأييد بهذه الصفة ،فإنه يكون أبلغ أنواع التخلّق في استجماع أقصى الكمالات الإنسانية

---

[1] تهذيب الأخلاق ،مرجع سابق ،ص 234.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تح: حمد عبد الله القرشي، النّاشر حسين عبّاس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ، ج 07، ص 309.

[3] انظر : دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط10، 1998 ،ص14.

،لذا تجد المتخلق في هذه الرتبة يطمع دائما في وصل الإنسان بآفاق فوق الإنسان العادي كأفق الأنبياء المطهرين وأفق الملائكة المقربين ،إن لم يكن أفق الحضرة الإلهية نفسِها ." [1]

وهذا الأفق الإنساني من وراء التخلّق أشار إليه أبو حامد الغزالي في معارج القدس :" وكلّ موجود فمشتاق إلى الكمال الممكن له وهو غايته المطلوبة فان ناله التحق بأفق العالم الذي هو فوقه وإن حرم عنه اطرح إلى الحضيض الذي تحته فالإنسان بين أن ينال الكمال فليلتحق في القرب من الله بأفق الملائكة وذلك سعادته أو يقبل على ما هو مشترك بينه وبين البهائم من رذائل الشهوة والغضب فينحط إلى درجة البهائم ويهلك هلاكا مؤبدا وهو شقاوته ." [2]

2-القيم في مقابل الحاجات:

ثُنائية القيم والحاجات إشكالية تُمثل جزء من واقع الإنسان الراهن الذي تُراهن عليه الحضارة الحديثة التي وفّرت للإنسان كل مطالب الرفاه وأشبعت حاجاته المادية ،وفي الوقت الذي يقترب فيه الإنسان من عالمه العقلي والحسّي يتراجع في الوقت نفسه عن فهم أعمق لذاته ،لذا رافع الأستاذ طه عبد الرحمن في كتابه سؤال الأخلاق عن الأخلاقية في مقابل العقلانية (الروحي الإيماني في مقابل المعرفي العقلي) ،ويسائل طه عبد الرحمن إنسان العصر قائلا :" ...وهل في الضرر أسوأ من أن يدعو إلى حقوق وحظوظ تُخرجه من رتبة الإنسانية ،وتنزل به إلى درك البهيمية ،مُحتجا في ذلك بأنه يتبع طريق العقلانية الواضح الذي هو وحده عنوان الإنسانية ؟لكن لو كان ما يدعيه هذا الإنسان صحيحا،فيا تُرى كيف بالطريق العقلاني الذي يتبعه يُفضي به إلى نقيض مقصوده ؟ ألم يكن يُريد به أن يزداد استقامة ،فإذا به يزداد اعوجاجا ." [3]

---

[1] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط01، 2000،ص 87-88.

[2] معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت،ط02، 1975،ص 91.

[3] سؤال الأخلاق ،مرجع سابق،ص 13.

كما نجد في كتاب ألكسيس كاريل (ت 1944 م) الإنسان ذلك المجهول دعوة إلى الاهتمام بالإنسان ودراسته، قال في هذا: "... من الواجب أن نحوّل اهتمام البشريّة من الآلات وعالم الجماد إلى جسم الإنسان وروحه وإلى العمليّات العقليّة والعضويّة التي ابتدعت الآلات ودنيا نيوتن وآنشتين " [1].

ودعوة كاريل إلى الاهتمام بعالم الإنسان وروحه دعوة ضمنية إلى إشباع حاجاته ونهمه الروحي الإيماني الذي يتحقق بالمنظومة القيمية الأخلاقية التي تنتصر للقيم على حساب الحاجات. ونجد كاريل أيضا يدعو إلى تأسيس علم خاص بالإنسان من أجل إعادة صياغة مفهوم الإنسان : "... يجب أن يعيد الإنسان صياغة نفسه حتّى يستطيع التّقدّم ثانية ... ولكنّه لا يستطيع صياغة نفسه دون أن يتعذّب لأنّه الخام والنّحّات في وقتٍ واحد، ولكي يكشف عن وجهه الحقيقي يجب عليه أن يحطّم مادّته بضربات عنيفة من مطرقته ..." [2].

يُعلي البحث القيمي الأخلاقي من شأن الإنسان ويجعله كائنا مُفارقا لمختلف العوالم التي هي أدنى منه مرتبة ،ويجعل له وجودا قيميا غائيا وهو وجود :" يختلف عن معنى وجود الكائنات الفيزيائية أو الكونية المتسمة بأنها كائنات لا فردية،وهي لا تتمتع إلا بالقيمة الظرفية ،التي تُسقطها عليها كائنات عاقلة ." [3]

3-الأخلاق والأفق الملّي :تُعتبر المنظومة القيمية الأخلاقية قدرا مُشتركا بين جميع الأديان السماوية منها والوضعية ،وهو ما جسّده قول النبي ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق» [4]،وهو تأكيد على الخط الممتد من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ ،فكل الأديان احتوت على منظومة قيمية أخلاقية ،ومن نماذج القيم الأخلاقية في الأديان :

---

[1] الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، تعريب: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، ط 1993، ص 12.

[2] أنظر: المرجع نفسه، ص 312.

[3] العمدة في فلسفة القيم،عادل العوا ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط 01، 1986، ص 365.

[4] حديث سبق تخريجه .

الأديان الوضعية :

– البوذية: رسم بوذا لأتباعه طريقا ذا معالم بارزة لتزكية النفس وترقيتها وإعدام الألم والرغبة والشهوة وهو ما يسمى **بالطريق المثمّن** ،ووصف بهذا الوصف لأنه ذو ثماني شعب وهي: الافتقار الصحيح–العزم الصحيح–القول الصحيح–العمل الصحيح–العيش الصحيح–الجهد الصحيح–الفكر الصحيح–التأمل الصحيح[1].

وهذه الشعب الثماني قواعد أخلاقية هدفها ترقية السالك وصقل نفسه بحثا عن الكمال .

–الهندوسية :من أبرز المبادئ المتضمنة للقواعد الأخلاقية في الديانة الهندوسية عقيدة الكارما وترتبط الكارما التي تنبني عليها مسألة الجزاء ،وهي مرتبطة بمسألة التناسخ ، فالرّوح تشعر بالملل والإرهاق وتحاول التحرر والانفصال لكي تدخل في جسد آخر وتولد من جديد، لكن هذه الحياة الجديدة إما أن تكون سعيدة أو شقية وفق أعمالها السابقة ،فإذا كانت أعمالها حسنة سعدت وإذا كانت سيئة شقيت ،وبهذا تكون الحياة الثانية ثمارا للحياة الأولى ونتيجة لأعمالها وهو نوع من الجزاء بحسب العمل ومجازاتها بالخير أو الشرّ يسمى في الديانة الهندوسية بالكارما kurma [2]

ولفظ كارما استخدم في اللغة السنسيكريتية القديمة ويعني قانون الجزاء ،فجميع أعمال البشر الاختيارية سواء كانت خيرا أو شرا يترتب عليها الجزاء بالثواب او العقاب طبقا لناموس العدل الذي يقوم عليه الكون بأسره .[3]

ومسألة الجزاء إحدى القواعد المهمة التي ينبني عليها الفعل الأخلاقي ،فمبدأ الخير والشر يستلزم الجزاء .

– الكنفوشيوسية : تتجلى المنظومة الأخلاقية في الكونفوشيوسية في المبادىء والتعاليم التي وضعها كونفوشيوس(ولد 551 ق م) وأبرزها مبدأ الطاو ويعني الطريق أو السبيل الذي يسلكه

---

[1] أنظر في ذلك:أديان الهند الكبرى،احمد شلبي،مكتبة النهضة المصريّة، ط11، 2000،ص 156.

[2] الهند القديمة حضارتها وديانتها،محمد اسماعيل الندوي،دار الشعب،القاهرة ،1970،ص 104 بتصرف.

[3] أديان الهند الكبرى،ص 60.

الإنسان ليكون صالحا في المجتمع بهدف تحقيق السعادة في الحياة ،كما وضع مبدأ (لي) ويعني الأدب والأخلاق ،ويرى كونفوشيوس أن حياة الفرد لا تُقاس بطول عمره ولكن بقدر صلاحه ،فالطاو في الكونفوشيوسية يعني الاستنارة الأخلاقية كما رفض مبدأ ولاء العبيد لأسيادهم ودعا إلى الولاء للمبدأ الأخلاقي دون غيره داعيا إياهم إلى التضحية بالروح في سبيل المبدأ الأخلاقي [1]

الأديان السماوية :

–اليهودية :من أبرز النصوص التي تتضمن قواعد أخلاقية في العهد القديم وصايا موسى عليه السلام ،ومن أبرز تلك الوصايا :"اعبد يهوه الله وحده ،لا تعبد الأصنام،لا تنطق باسم الله باطلا،احفظ يوم السبت أكرم أباك وأمك ،لا تقتل ،لا تزني،لا تسرق–لا تشهد زورا –لا تشتهي شيئا مما لقريبك ." [2]

وهذه الوصايا أقرّها القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الأنعام /151.وهناك يوم التّكفير في اليهودية ،وهو يوم واحد في العام يعبد فيه اليهوديّ اللّه ليس كإنسان بل كملاك مع انقطاع تام في الأكل والشّرب ويسبق هذا اليوم تسعة أيّام تسمّى أيّام التّوبة.[3]

والتوبة دلالة رمزية على الإثم والشرّ والذنب نتيجة اقتراف الأخلاق المذمومة ،والشعور بالذنب أكبر دليل على الاختيار والإرادة التي ينبني عليها الفعل الأخلاقي .

– المسيحيّة: من النماذج الفريدة في باب الأخلاق في العهد الجديد موعظة السيد المسيح عليه السلام التي تُعرف بموعظة الجبل ،ومما جاء فيها :" طوبى للرحماء لأنهم يرحمون،طوبى لأنقياء القلب لأنهم يُعاينون الله ،قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل،ومن قتل يكون مستوجب الحكم ،وأما أنا فأقول

---

[1] أنظر : الفكر الصيني من كنفوشيوس إلى ماوتسي تونج ، هـ.ج.كريل ،ترجمة عبد الحميد سليم ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،ط 1971، ص 53 وما بعدها بتصرف.

[2] أنظر: العهد القديم ، سفر الخروج :20: 03. – وانظر : 20:04–06، وانظر: 20:07.

[3] انظر:اليهودية،شلبي،ص 295 وما بعدها بتصرف.

لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم .ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم .من سألك فأعطه ،ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه،لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ،بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ..." [1]

وهذه الموعظة كلها وصايا وقيم أخلاقية وفضائل فردية واجتماعية ودينية مهمة .

– **الإسلام** تُعتبر المنظومة الأخلاقية في الإسلام ركيزة هامة يقوم عليها الدين والوجود ،وسنتوقف بشيء من التفصيل في محور لاحق حول النظرية الأخلاقية في الإسلام.

4–الأخلاق والأفق الإنساني (من المُختلف إلى المشترك)

يتجلّى الأفق الإنساني في الدرس الأخلاقي من حيث كون المنظومة الأخلاقية قدرا مشتركا بين جميع الجماعات البشرية ،فكما أسلفنا من قبل في تعريف الاخلاق كونها ما اتفق عليه جميع العقلاء على تحسينه وتقبيحه وأيدته الشرائع السماوية ،وهو ما بينه عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني بقوله في باب الأخلاق المذمومة بأنها:" كلّ سلوك فردي واجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استقباحه واستنكاره ،مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعادتها وتقاليدها ومفاهيمها ويلحق به ما كان أثرا من آثاره ،أو فرعا من فروعه." [2]

فالفضائل كالصدق والشجاعة والكرم ممدوحة عند جميع الناس على اختلاف مللهم ومشاربهم ،وأضدادها من كذب وجبن وبخل مذمومة عند جميع الناس أيضا ،وعلى هذا تأخذ الأخلاق بُعدا إنسانيا وكونيا :" أن الناس كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ودينهم

[1] العهد الجديد ،إنجيل متى : 05: 01-07: 29.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها ،مرجع سابق ،ج01،ص 16.

جسم عضوى واحد فكل أمة تؤثر في الأمم الأخرى وتتأثر بها في صنائعها وعلومها وأخلاقها، فليست أمة من الأمم غنية بمعادنها وصنائعها وعلومها عمّا حولها." [1]

إن هذا المضمون الكوني والإنساني أكّده القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات /13. وجاء في بيان معناها :" كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد إلا وهو يدلي بما يدلي به الآخر سواء بسواء، فلا معنى للتفاخر والتفاضل بالنسب.

وفي الحديث: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتّقى .» [2]

إن الإنسانية ترتبط برابط قيمي أخلاقي أكثر من كونه رابط مادي وحاجاتي ،وهو ما أشارت إليه الآية السابقة فالتعارف مفض إلى التشارك والتعاون ومولّد لقيم إنسانية سامية تجعل البشرية تنشد المحبّة والسلام وهي قيم إنسانية رفيعة :

" ولكنّ الأسباب الطبيعية تظل أسباب عمياء تُباين أسباب النشاط القيمي الذي يُخالف في كثير من الأحوال دوافع الغريزة ويطلب تكامل فاعلية حرّة متطلعة إلى مثل أعلى ." [3]

---

[1] الأخلاق ،أحمد أمين ،مرجع سابق ، ص 50.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق ، ج 05، ص 434. وحديث « لا فضل لعربي ... » أخرجه أحمد في مُسنده عن أبي نضرة ،أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،أبو الحسن الهيثمي تحقيق: حسام الدين القدسي ،مكتبة القدسي، القاهرة، ط،1994

ج 03،ص 266.

[3] العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ، ص 390.

5-الأخلاق وصراع القوى العالمية من الصّدام إلى الأخوّة:

تُسيطر الحضارة الغربية على المشهد الإنساني الراهن ،وتقود العالم في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والمعرفية ،هذه الأخيرة تستند في سبيل بقائها على مجموعة من الأسس والرّوابط التي تعلي من شأن القوميّة والعنصريّة , وتلغي الرّوابط الإنسانيّة المبنيّة على التّعاون والتّواصل, وهو ما أوضحه النّورسي في بيان الأسس التي تقوم عليها المدينة الحاضرة وهي خمسة أسس سلبيّة :

1/ نقطة استنادها القوّة وهذه شأنها الاعتداء. 2/ هدفها وقصدها المنفعة وهذه شأنها التّزاحم.

3/ دستورها في الحياة الجدال والصّراع وهذه شأنها التّنازع. 4/ الرّابطة التي تربط المجموعات البشريّة هي العنصريّة والقوميّة السّلبيّة وهذه شأنها التّصادم.

5/ إسقاط الإنسان من درجة الملائكيّة إلى درجة الحيوانيّة وهذا فيه مسخ معنوي للإنسان .[1]

وعليه يُمكن للأخلاق أن تُساهم في تجفيف منابع الصراع والعنصريّة والتصارع من أجل المصالح والمنافع واستخدام منطق القوة المفضي إلى الاعتداء والمثمر للحروب إلى عالم يجعل من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ قاعدة أخلاقية إنسانية وكونية عالمية .

المحور 02: نشأة علم الأخلاق وأهم النظريات الأخلاقية:

عرف الدرس الأخلاقي تطورا كبيرا وامتدادا معرفيا منذ العهد اليوناني إلى يومنا هذا ،فما هي أهم تجليات الدرس الأخلاقي خلال هذا الامتداد الزمني الكبير ، ومن هم أبرز الأعلام الذين اشتغلوا بالدرس الأخلاقي ؟ وما هي أبرز النظريات الأخلاقية؟

[1] أنظر سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، استنبول، ط1، 1998م. ،ص 139 بتصرّف, وانظر أيضًا : المكتوبات, بديع الزّمان سعيد النّورسي, تر: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر، استنبول، ط01، 1992، ص 606 وما بعدها بتصرّف.

1-.نشأة فلسفة القيم (الأخلاق) :

توطئة:

يُميز الباحثون بين مراحل ثلاث لتطور الفكر البشري ،وهي العصر القديم ،ويبدأ بنشأة الفكر الفلسفي في اليونان،وينتهي سنة 529م،ثم العصر الوسيط ،فعصر النهضة وفيه ازدهرت الفلسفة العربية وانتقالها إلى أوروبا مما أسهم في خلق نهضة وتحقيق انبعاث في الغرب ،ثم تلاه العصر الحديث في القرن 17م،وهي عصور تتداخل فيما بينها ،وهي مراحل شهد فيها الفكر الفلسفي تطورا كبيرا .[1]

فما هي مميزات هذه المراحل ومن أبرز أعلام الفكر الأخلاقي فيها ؟

1.1-.العصر القديم :

سجّل لنا تاريخ الفكر الفلسفي مجموعة من المدارس الفلسفية أثرت الدرس الأخلاقي ،ومن أبرزها:

1.1.1-.السفسطائيون:جاء في الموسوعة الفلسفية لروزنتال في بيان حقيقة هذه المدرسة :"معلمو خطابة وفلسفة جوّالون في اليونان قديما سادوا في القرن الخامس قبل الميلاد لم يكونوا مدرسة لكنهم يشتركون في بعض الآراء العامة ،فهم يرفضون الدين ويفسرون الظواهر الطبيعية تفسيرا عقلانيا وينادون بالنسبية في المسائل الأخلاقية والاجتماعية .[2]،وفي المعجم الفلسفي :"الأصل اليوناني للسفسطة سوفيسما sophisma ،وهو مشتق من لفظ سُوفُوس ، sophosومعناه الحكيم الحاذق ،والسفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة ،وعند المنطقيين هي القياس المركب من الوهميات،والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ." [3]

---

[1] أنظر: العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ،ص 55 وما بعدها بتصرف.

[2] الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ،ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للنشر، بيروت،بدون تاريخ، ص 251.

[3] المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ،مرجع سابق، ج01،ص 658.

ومن أبرز أعلام المدرسة بروتاجوراس (480–411 ق.م)،يقوم مذهبه الأخلاقي على قاعدة أرساها مفادها [الإنسان مقياس الأشياء جميعا]،وأطروحته تقوم على اعتبار الإنسان مركز الكون[1].

إن عبارة بروتاجوراس [الإنسان مقياس الأشياء جميعا] توحي بأن الطبيعة الإنسانية هي المرجع الثابت لأفكارنا ،أي أن هناك قدرا مُشتركا بين جميع الناس ،كما أنها توحي بأن كل فرد هو الحكم الأعلى في ميدان الصواب والخطأ والخير والشر ،وعليه ما دامت النفوس مختلفة فالأحكام بالصواب والخطأ على الأشياء تكون مختلفة تبعا لذلك ،مادام الإنسان منفصلا عن غيره مغايرا لهم .[2]

يقوم المذهب الأخلاقي عند بروتاجوراس على نظريته في المعرفة ،فالطريق الوحيد للمعرفة عنده هو الإحساس ،وليست أحكامنا إلا صياغة لأحاسيسنا ،وما دامت الأحاسيس متغيرة ،فلا وجود لحقيقة مطلقة ثابتة ،وهذا هو معنى قوله أن الإنسان مقياس الاشياء جميعا . [3]

إن رأي بروتاجوراس يحمل في مضامينه دعوة صريحة للإطاحة بالصرح الأخلاقي بناء على ما أرساه من قاعدة [الإنسان مقياس الأشياء جميعا]،وهو ما يجعل الأحكام ذاتية غير ثابتة ومستقرة ،ومن خصائص القيمة الخُلقية الثبات لكونها قيمة يتفق جميع العقلاء على استحسانها أو استهجانها .

2.1.1.سقراط : (ولد 470 ق.م) :يرى البعض أن سقراط يعتبر أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وحوّل البحث الفلسفي من الميتافيزيقا والماورائيات إلى السلوك الإنساني ،ويقوم مذهبه في الأخلاق على نظريته في المعرفة ،فالمبدأ الرئيسي عنده هو البحث عن المعرفة ،ولا يمكن

[1] الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 81.

[2] العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ،ص 67 بتصرف.

[3] العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ،ص 57 بتصرف.

أن تقوم على أساس صحيح إلا بعد دراسة طرق الوصول إليها ،والأخلاق نفسها لا يمكنها أن تقوم إلا إذا سبقها العلم ،فالفضيلة تقوم على العلم [1].

وعلى هذا الأساس صاغ مقولته الشهيرة [العلم فضيلة والجهل رذيلة]،وملخص م>هبه الاخلاقي أن الفضيلة هي العلم،وبغير العلم لا يتم العمل ،وحيث يوجد العلم يوجد العمل ،**فالمبدأ الأول عنده** :لا عمل بدون علم ،فالإنسان لا يمكنه أن يصل إلى الغاية ما لم يكن عالما بالوسائل التي تؤدي إليها ،فتحقيق الغاية العملية مرهون بمعرفة الوسائل المؤدية إليها .

والمبدأ الثاني عنده :حيث يوجد علم يوجد عمل قطعا ،فالإنسان لا يمكنه أن يفعل الشرّ وهو عالم بأنه يفعل الشرّ،والإنسان ليس شريرا بطبعه ،فالشرّ مصدره الجهل ،وعليه فالإنسان إذا علم بأن هذا الشيء نافع له وخيّر لا بدّ أن يفعله ولا يؤجله.[2]

3.1.1.أفلاطون:(428.ق.م–347 ق.م)

أورده الشهرستاني في الملل ضمن الحكماء السبعة وقال عنه أنه معروف بالتوحيد والحكمة. وقد أخذ العلم من سقراط [3]،ويتخذ مذهب أفلاطون في الأخلاق ثلاثة مناحي ،**أولها**: البحث في الخير الأسمى ،**وثانيها** :البحث في تحقيق هذا الخير الاسمى في جزئياته عن طريق الفضائل ،**وثالثها** :تحقيق الخير في الدولة عن طريق السياسة .[4]

1..**الخير الاسمى**:ويقوم على نظرية المثل عند أفلاطون وملخصها أن العالم الحسي هو نتاج عالم المثل ،والمثل خالدة غير نسبية ولا تتوقف على الزمان والمكان بعكس الأشياء الحسية [5]،فالوجود الحقيقي عند أفلاطون هو وجود الصور (المثل)،وكل ما يتصل به هو الوجود الحقيقي ،وكل ما

---

[1] موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 577.

[2] موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 578.وانظر أيضا : الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 246.

[3] أنظر : الملل والنحل ،الشهرستاني ،مؤسسة الحلبي ، بدون تاريخ ، ج 02،ص 146.

[4] موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 180 بتصرف.

[5] الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 41.

يتعلق بالوجود المحسوس فليس خيرا ،فالخير الحقيقي ما كان مُطابقا للصورة العليا (عالم المثل)،وكل ما يتعارض مع عالم المثل هو الشرّ،وكلما كان الإنسان أكثر ابتعادا عن الجسم واقترابا من الصورة (عالم المثل) كان مُحققا لدرجة أكبر من الخير ،لذا على الإنسان أن يميت شهواته عن طريق الرياضة حتى يقترب من الصورة ويحقق الخير الأسمى .فالنفس سجينة في الجسم .وإدراكها الخير مرهون بخلاصها. [1]

2.الفضائل:

قدّم أفلاطون تحليلا أخلاقيا يتعلق بالفرد والدولة على حد سواء ،وبيّن أن فضائل الفرد تتركز في العفة والشجاعة والحكمة والعدالة ،فالعفة للنفس الشهوانية ،والشجاعة للنفس الغضبية ،والحكمة للنفس العاقلة ،وإذا تركنا كل نفس لما خلقت من أجله تحققت الفضيلة الرابعة وهي العدالة ،وهذا ينطبق على الدولة كالآتي :

-العفة :فضيلة الطبقة العمالية من زراع وتجار وصناع.

-الشجاعة فضيلة الجند والحراس.

-الحكمة فضيلة طبقة الفلاسفة .

-العدالة :تتحقق إذا حققت الطبقات الثلاث الفضائل المنوطة بها [2]

3.السياسة :إذا كانت الفضيلة غاية الفرد فهي غاية الدولة أيضا ،وإذا كان الانسجام والنظام بين أجزاء النفس وقواها غاية للنفس الإنسانية ،فهو غاية للدولة أيضا [3]

4.1.1.أرسطو:اتجه أرسطو في مذهبه الأخلاقي اتجاها واقعيا ورأى أن ما يحقق السعادة ليست اللذة أو التشريف السياسي وإنما هو الحكمة، [4]والفضيلة عند أرسطو هي إتيان الفعل على أكمل

---

[1] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 180 وما بعدها بتصرف .وانظر أيضا : الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 40 وما بعدها بتصرف.

[2] مقدمة في علم الأخلاق ، مرجع سابق ،ص 48 وما بعدها بتصرف .

[3] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 182

[4] أنظر : مقدمة في علم الأخلاق ،ليلي ،مرجع سابق ،ص 55 وما بعدها بتصرف.

وجه،إذ الفضيلة تُطلق على جميع الأفعال الحائزة للكمال،ويُمكن أن تكون الفضيلة حالة اعتيادية تُكتسب بفضل التكرار لكنها تخضع للعقل والرويّة ،كما تقوم الفضيلة على أساس العلم والإرادة،فعلى الإرادة يتوقف الاختيار وتحديد الغرض ،أما العلم فدوره تحديد الوسائل المؤدية لتحقيق هذا الغرض ،لذا قدّم أرسطو **فكرة الوسط الذهبي** ،ومعناها أن الحالة الاعتيادية السابقة هي وسط بين رذيلتين ،ومعناها أن يفعل المرء ما يجب عليه فعله وفي الأحوال التي يجب فيها تجاه من يجب نحوهم ذلك ومن أجل الغاية التي من أجلها يجب ذلك [1]

5.1.1.أرستيب القورينائي:(435 ق.م 355 ق.م) ويُعرف أيضا بأريستوبس ،وهو من تلاميذ سقراط ،ومؤسس مدرسة اللذة ،يتجلى الدرس الأخلاقي عنده في مذهبه في اللذة إذ اعتبر اللذة هي الغاية الأقصى للحياة ،لكنه دعا إلى إدراك المتعة العقلية التي هي أكبر النعم [2]،واشترط أرستيب أن تكون اللذة حركة خفيفة ناعمة تُلامس اللحم دون أن تتعب الجسم ،فهي كالنسيم الخفيف الذي يُداعب صفحة الماء . [3]

6.1.1.الأبيقورية :نسبة إلى أبيقور (341 ق.م-271 ق.م) يقول عنه روزنتال في موسوعته أنه فيلسوف مادي وإلحادي يُنكر تدخل الآلهة في شؤون العالم ،وينطلق من الاعتراف بخلود المادة ،وفي الأخلاق يرى أبيقور أن المتع العقلية من أجل الإفلات من الألم وتحقيق حالة هدوء ومتعة للروح ،وأن أكثر حالات الإنسان عقلانية هي السلام الكامل والسكينة . [4]

ويشرح لنا عبد الرحمن بدوي فلسفة أبيقور الأخلاقية فيرى أن مقياس الخير عند أبيقور هو اللذة ومفارقة الألم ،وهذا لا حاجة للبرهنة عليه لأنه مُشاهد في حياة الإنسان من ميلاده إلى موته ،إلا أن أبيقور يُفاضل بين اللذائد والآلام ،فيجعل بعض الآلام أفضل من اللذات ،ففي احتمال الآلام ما يؤدي إلى لذة أكبر كما أن في تجنب اللذات تجنب لآلام أكبر ،فكل لذة وكل

---

[1] مقدمة في علم الأخلاق ،محمود حمدي زقزوق ، دار القلم، الكويت ، ط03، 1983، ص 145 وما بعدها بتصرف .

[2] أنظر: الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 21 بتصرف.

[3] أنظر : العمدة في فلسفة القيم ،ص 70 وما بعدها بتصرف.

[4] أنظر: الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 08 وما بعدها بتصرف.

ألم لها أثر مترتب عنها ،والأثر المترتب قد يؤدي إلى شيء من نفس النوع أو شيء مضاد ،وبدرجة قد تكون أكثر أو أقل في كلتا الحالتين ،وعلى هذا صاغ **القاعدة التالية** :

-كل ألم يجب ألّا يُتجنب لأنه ألم في ذاته ،كما أن كل لذة يجب ألا تُطلب لأنها لذة في ذاتها ،وإنما يجب أن نحسب حسابا إلى جانب الآلام واللذات .[1]

- ليس المراد باللذة اللذة الحاضرة الآنية ،ونطلب لذة الحياة ولو كانت في رفض اللذة إذا استتبعت ألما أكبر ونتحمل الألم إذا استتبع لذة .

- اللذائذ الروحية والعقلية أهم من اللذائذ البدنية الحسية ،لأن البدن يشعر باللذة لحظة وقوعها فقط ،وليس للجسم القدرة على تذكر لذة ماضية أو تخيل لذة مستقبلية ،أما العقل فإنه يذكر ويتوقع ،ومن ثم كانت لذائذه أبقى وأطول ،فهو يشارك الجسم وقت تلذذه باللذة ويزيد عليها تذكر اللذائذ الماضية وتوقع الآتية .

-تقدير اللذائذ السلبية أكثر من اللذائذ الإيجابية ، والمراد بالسلبية ما كانت خالية من الألم ،لذا كانت أعظم اللذائذ المطلوبة طمأنينة العقل والهدوء ،والبعد عما يسبب القلق والاضطراب .[2]

هذه خلاصة مذهب أبيقور في اللّذّة التي هي الخير الأعظم وهو ما صرّح به في رسائله: "... إنّ القول السّديد في الرّغبات هو الذي يردُّ كلَّ تفضيلٍ وكلَّ اشمئزازٍ إلى سلامة الجسم وقرارة النّفس، إذْ في ذلك تكمن الحياة السّعيدة الحقّة، فأفعالنا كلّها ترمي إلى إقصاء الألم والخوف..."[3]، فمقياس الرّغبات عند أبيقور هو ما يحقّق سلامة الجسم وراحة النّفس، فكلُّ سلوكٍ تنبعُ قيمته بمقدار ما يضيف من لذائذ ويدفع من آلام. ودعوة أبيقور إلى اللّذّة كما صرح بذلك في رسائله لا يريد بها لذّة الفسّاق أو لذّة المتع الجسديّة والسّكر والشّهوة، بل هي في العقل اليقظ .[4]

---

[1] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 86 بتصرف .

[2] أنظر :الأخلاق ومذاهبها ، صلاح الدين خليل عثمان، بدون دار، بدون تاريخ، ص 110 وما بعدها بتصرف .

[3] الرّسائل والحكم، أبيقور، دراسة وترجمة: جلال الدّين سعيد، الدّار العربيّة للكتاب، بدون تاريخ، ص 205.

[4] أُنظر: المرجع نفسه، ص 206 بتصرّف

ويرى الباحث الأستاذ علي عرعور –رحمه الله – [1]:" أن هذا التحديد الذي يقدمه أبيقور لمفهوم اللذة يُعتبر محورا هاما في فلسفته الأخلاقية ،وهذا التعريف هو معيار التفرقة بينه وبين القورينائيين الذين جعلوا من اللذة الحاضرة غاية كل سلوك إنساني وفسروا الفعل الخلقي بمقدار ما يجرّه من لذات حاضرة وفصلوا اللذة عن الزمان والمكان وسلبوا عنها كل قيمة اجتماعية فتحولت إلى بهيمية ليس وراءها أي غاية ." [2]

ويقدم لنا الأستاذ جلال الدين سعيد في دراسته وتحقيقه لرسائل وحكم أبيقور ملمحا بارزا في فلسفة أبيقور، في الفصل السّادس في حديثه عن أخلاق اللّذّة مبيّنًا أنّه يصعب فهم تفكير أبيقور، فالمتأمّل في فلسفته لا يخفى عليه التّناقض الكامن فيها بين أطروحات تنوّه باللّذّة الجسديّة إلى درجة المجون وأخرى يدعو فيها إلى الزّهد في اللّذائذ.[3]

7.1.1.الرواقية :دعاة مدرسة فلسفية ، انتشرت في إطار الثقافة اليونانية في القرن الرابع (ق 04 ق.م) تطلعت المدرسة الرواقية إلى تحرير الإنسان من شهواته عن طريق الفضيلة الحازمة ،وهي التي توجب على الحكيم أن يدع نفسه تجري في تيار الحياة معلنا أن عقله قبس من العقل الإلهي ،وبهذه المعرفة يستطيع التخلص من جميع الشهوات والخلاص من مشاعر اللذة والألم والخوف والرهبة ،فالقيمة في نظر الرواقيين تكمن في العقل لا في اللذة ،والعقل يدبر الطبيعة كما يوجه النفس البشرية ،ومرجع الألم والأسى يرجع إلى أفكارنا وإلى أحكامنا على الأمور ،فالأعرج

---

[1] علي عرعور بن عطية ،أستاذ الفلسفة والمنطق بجامعة الجلفة ،توفي سنة 2014 ،كانت لي معه صُحبة وصداقة أيام الجامعة من المختصين في الدرس الفلسفي ،تُعتبر دراسته الأكاديمية – ماجستير فلسفة –عن الأخلاق الأبيقورية وأثرها في الفكر العربي المعاصر .من أهم الدراسات في هذا الباب

[2] الأخلاق الأبيقورية وأثرها في الفكر الأأخلاقي المعاصر ، علي عرعور ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة ، إشراف عبد الرحمن بوقاف ، الموسم الجامعي : 2004–2005م ص 29.

[3] أنظر: الرّسائل والحكم، أبيقور ، مرجع سابق، ص110 / 111 بتصرّف.

مثلا لا يتألم من عاهته إلا إذا كان لديه حكم مسبق بأنها نقيصة ،فإذا بدل حكمه رضي بالقدر تخلص من الألم وعندها يندمج في الحياة السعيدة .[1]

والحكيم عند الرواقيين هو الذي يسلك سبيل الفضيلة بان يقصد إليها قصدا تاما ،أما نتائج الفعل فليس مطالبا بها سواء أصابت الهدف أم لم تصبه ،سواء أكانت النتائج خيرة أم شريرة ،وكل فعل أخلاقي في ذاته لا قيمة ولا اعتبار له في ذاته ،وإنما القيمة الأخلاقية مرتبطة بالموقف النفسي الذي يقفه الإنسان بإزاء الفعل ،لذا يرى عبد الرحمن بدوي أن هذا أشبه بفكرة الكسب عند الأشاعرة من حيث أن الافعال مقدرة تقديرا أزليا ،وليس على العبد إلا أن يكتسب صفة الفعل .[2]

والخير عند الرواقيين هو مطابقة النظام الكوني ،وما الشر إلا تمرد على قوانين الأشياء،ولما كانت اللذة تصرف الإنسان عن الحياة العقلية القائمة على التوافق والانسجام ،فإن من واجب الرجل الحكيم العمل على اجتناب حياة الملذات والانصراف عن المشاغل والعواطف والأهواء والانفعالات .[3]

2.1. العصر الوسيط:

مما ميّز هذه المرحلة نفوذ الفكر المسيحي إلى الفلسفة القديمة ،مما جعل الدرس الأخلاقي في العصور الوسطى متأثرا بالمسيحية ،وهو ما تجلى في ربط الأخلاق بالدين ،فتعمّق البحث في مسألة الخير والشرّ وربطها بالقانون الإلهي (الجزاء)،وساد الاعتقاد بأن في وُسع إرادة الإنسان

---

[1] أنظر : العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ، ص 71 وما بعدها بتصرف. وانظر: الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 230 .

[2] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 542 بتصرف .

[3] مقدمة في علم الأخلاق ،محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق ،ص 94 وما بعدها بتصرف .

افتداء نتائج الزلة مع ضرورة تدخل الإرادة الإلهية ،وما دام أن البشرية قد أخطأت بفعل آدم ففي قدوم السيد المسيح منجاة لها.[1]

ومن أبرز الأعلام الذين أسهموا في الدرس الأخلاقي في هذه المرحلة القديس أوغسطين والقديس توما الإكويني .

1.2.1. القديس أوغسطين :saint augustine هو لاهوتي وفيلسوف مسيحي وأحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية ،ولد بشرق الجزائر سنة 354م ،وتوفي في عنابة بالجزائر سنة 430م.[2] ويجعله روزنتال في موسوعة فيلسوفا متصوفا معتنقا لآراء قريبة من الأفلاطونية الجديدة ،تقوم نظرته العامة على طابع إيماني بناء على قاعدته [حيث لا يوجد إيمان لا توجد معرفة ولا توجد حقيقة].[3]

وفي مذهبه الأخلاقي يرى عبد الرحمن بدوي أن أوغسطين كان معتنقا للمانوية التي تقول بوجود مبدأين أصليين مبدأ النور والظلمة،وهما مبدأ الخير والشرّ،وبعد اعتناقه للمسيحية حاول أن يجد تفسير آخر لوجود الشرّ في الإنسان والعالم ،فرأى أن الله خيّر لا يفعل الشرّ لأنه غير متغيّر ،أما المخلوقات فليست من جوهر الله بل خلقها الله من العدم ،وما كان من العدم لا يُعتبر وجودا محضا ،فهي مزاج من الوجود والعدم ،لذا كان فيها شيء من النقص الذي يتطلب التغيير.[4]

وعلى هذا الأساس فالإنسان الذي يطلب الكمال أو السعادة في نظره إنما هو يطلب الله فالإفلات من القلق وبلوغ الرضا بالخير الأعظم إنما يتوفّر في الله وحده ،فالله عند أوغسطين هو القيمة العليا ،ومبدأ جميع القيم ،وكل شيء في العالم خاضع له متطلع إليه يستمد وجوده منه فلا نستطيع اكتشاف ما فينا من خير إلا بقدر حبّنا لله [5]، وهو النص الوارد في العهد الجديد في إنجيل

---

[1] أنظر في هذا :العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ، ص 75وما بعدها بتصرف.وانظر أيضا : مقدمة في علم الأخلاق ،ليلي ،مرجع سابق ،ص 57 بتصرف.

[2] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 247 بتصرف .

[3] انظر: الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 67 بتصرف .

[4] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 251 بتصرف .

[5] أنظر:العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ، ص 77 بتصرف

يوحنا :" كلمة الله هو موضوع إيماننا ،وهو النور،فالسراج هو الإيمان ،إذ كان هو النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان آتيا إلى العالم ."[1]

ويرى ويل ديورانت في قصة الحضارة أن القديس أوغسطين افتتن بأفلاطون افتتاناً جعله يلقبه بكونه نصف الإله ولم يمتنع عن أن يكون أفلاطونياً بعد أن صار مسيحياً. ودرس وهو في روما وميلان كتب أفلاطون وأفلوطين وتأثرت فلسفته أشد التأثر بالأفلاطونية الجديدة،وكيف أثرت فيه تعاليم المسيحية لا سيما رسالة بولس الرسول ال أهل رومية،والتي ورد فيها قول بولس الرسول لا بالبطر والسُّكْر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد. بل ألبسوا الرب يسوع المسيح، ولا تضعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات ." [2]

ويرى ديورانت أن اعتناق أوغسطين للمسيحية :"كانت خاتمة تطور طويل الأمد في مشاعر أوغسطين وأفكاره. وقد وجد في هذا الدين العجيب شيئا أعظم حرارة وأعمق فكراً من كل ما في منطق الفلسفة؛ لقد جاءته المسيحية لترضى فيه عاطفته المنفعلة القوية؛ فلما أن تخلص من التشكك الذهني وجد لأول مرة في حياته دافعا خلقياً قويا، وراحة عقلية ."[3]

ومن أبرز الأعمال التي خلّفها القديس أوغسطين كتابه [مدينة الله] ،ويرى روزنتال أنها :" المدينة الخاصة به –باعتبارها القاعدة المطلقة للكنيسة– مقابل مدينة الأرض أي الدولة الدنيوية (الخاطئة) ."[4]، ويرى ويل ديورانت ،أن الباعث له على كتابه وصول أنباء نهب ألريك لروما، وما أعقبه من فرار آلاف اللاجئين ،وهو ما أثار نفس القديس ليكتب كتابه حيث بدت له الحادثة عملاً شيطانياً لا يفعله من أوتى ذرة من العقل وهو ما أدى إلى تزعزع إيمان كثير من المسيحيين

---

[1] العهد الجديد ،إنجيل يوحنا 09:01.

[2] العهد الجديد، رسالة بولس الرسول ال أهل رومية الإصحاح الثالث عشر، ،رقم: 14

[3] قصة الحضارة ،وِيل ديورَانت ، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرون، دار الجيل، بيروت + لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،ط 1998،ج 12،ص 135.

[4] الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص 67 .

بسبب هذه الكارثة. فكان كتابه محاولة تخفيف الذعر المستولي على النفوس. وبيان أن هذه الكارثة وغيرها لا تغيّب المسيحية ولا تزرى بفضلها .[1]

وبالرجوع إلى كتاب مدينة الله نجد مقدمته تأريخا لهذا الحدث:" مسيحيون ووثنيون يعيشون أوقاتا عصيبة جدا خلال اجتياح ألاريك وجيشه لروما عام 410: ضحايا كثيرة لا تعدّ ولا تحصى تقع ،بلا رحمة ولا شفقة ،خراب وتدمير بلا هوادة ." [2]

ويصور لنا القديس أوغسطين في مدينته كيف يقدم الإله التعازي للمسيحيين وكيف تقدم لهم الكتب المقدسة التعازي في مثل هذه الورطة :" لكن الله لم يتأخر عن تعزيتهم ولم يترك المؤمنين به تحت ظلم البرابرة وإن كانوا بشرا ،هو الذي لم يتخل عن نبيه في جوف الحوت ،وهنا فإن أخصامنا يؤثرون الضحك على الإيمان ." [3]

2.2.1.توما الإكويني:thomas D aquin (1225م-1274م) أكبر فلاسفة العصور الوسطى المسيحية . وتقوم فلسفة توما الأإكويني الأخلاقية على اعتبار أن سبب الشرور قد يقع في خير ما ،لكن الله لا يمكن أن يكون مصدر الشرّ ،لأنه لما كان الشرّ نقصا في الفعل ،فإن مصدره هو الفاعل الذي وقع منه الشرّ ،فلا يمكن نسبة الشر إلى الله بل إلى الإنسان الفاعل ،وقد كان في مذهبه الأخلاقيمُسايرا لمذهب أرسطو في كتابه [الأخلاق إلى نيقو ماخوس] حيث حدد العلاقة التي تربط الفرد بالجماعة ودعا إلى تحقيق عدالة بين الأفراد ،لكنه قسمها إلى عدالة توزيعية وعدالة تعويضية ، فالتوزيعية أن يحصل كل فرد من المجتمع على ما يستحقّه بحسب مكانته في المجتمع ،والمكانة تعود إلى العدالة أو الثروة أو الحقوق ،أما العدالة التعويضية فهي عدالة التبادل بين الأفراد حيث يتلقى الفرد من الآخر حسب ما هو متفق عليه بينهما وهو ما يتجلى في البيع والشراء ،لكن قد تدخل بعض الرذائل الأخلاقية في العدالة التوزيعية كدخول الاعتبارات الشخصية

---

[1] قصة الحضارة ،وِيل ديورَانت مرجع سابق، ج12،ص 146. .

[2] مدينة الله ،القديس أوغسطين ،ترجمه إلى العربية : الخور أسقف يوحنا الحلو ،دار المشرق،بيروت ، ط02، 2006، ص 07.

[3] مدينة الله ،القديس أوغسطين،مرجع سابق ،ص 30.

والقرابة وغيرها ،أما الرذائل الأخلاقية التي تدخل في العدالة التعويضية فأبرزها الانتهاك وسلب حقوق الغير أو سلب حياته بالقتل [1]

وخلاصة رأي توما الإكويني الأخلاقي أن الله يريد الخير على الدوام والإنسان له رغبة في محاكاة الخالق ،وهذه المحاكاة مصدر كل قيمة يتمتع بها الإنسان فيحدث بذلك الخير الخاص بالإنسان ،فما السعادة إلا استيفاء الإنسان كماله ،والسعادة الإنسانية الكاملة تتم للإنسان في الآخرة لتبقى السعادة الدنيوية ناقصة قوامها معرفة الله ومحبته ومزاولة الفضائل وصحة الجسم مع وجود الخيرات الخارجية من مال وكرامة باعتبارها وسائل الحياة الفاضلة ،فالسقم والفاقة عوائق للنهوض بفضائل شتى .[2]

وتُنسب إلى توما الإكويني (التوماوية) الاتجاه الرئيسي في الفلسفة الكاثوليكية ،وفي عام 1889 أنشىء معهد عال للفلسفة ببلجيكا كمركز دولي للتوماوية الجديدة ،وأساس التوماوية الجديدة المبدأ الرسمي القائم على قاعدة [الفلسفة خادمة للاهوت] ويُعلنون أن العالم المادي ثانوي ومشتق مُستخدمين في ذلك مقولات أرسطو في الشكل والمادة والقوة والفعل .[3]

3.1. العصر الحديث:يقدم لنا وليام ليلي في كتابه [مقدمة في علم الأخلاق] أهم ملامح هذه المرحلة وخصائص الدرس الأخلاقي فيها ،ويمكن أن نوجز أهم هذه الخصائص فيما يلي :

– فقد الكنيسة في هذه المرحلة للسلطة المخولة لها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ويعود سبب ذلك إلى ظهور المذهب الفردي الذي أكد على الحرية الإنسانية الفردية بمعزل عن الوحي المسيحي ،إضافة إلى الانقسامات التي عرفتها الكنيسة ،مما أضعف قوتها في نفوس الأفراد.وسلطتها كهيئة أخلاقية .وهو ما أدى إلى ظهور دعوة كل مسيحي أن يحمل إنجيله معه ليفسره تفسيرا فرديا.

---

[1] أنظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي،مرجع سابق ، ج01، ص 431 وما بعدها بتصرف .

[2] أنظر:العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق ، ص 81 وما بعدها بتصرف

[3] الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ، مرجع سابق، ص150 بتصرف.

-تبني نظرة السوفسطائيين الذي تجلى بشكل أكبر مع مقولة بروتاجوراس السابقة [الإنسان مقياس الأشياء جميعا]،مما جعل الكثيرين يعولون في معرفة الصواب والخطأ على الحكم الفردي .

-ظهور اتجاه يرى أن معيار معرفة الخطأ والصواب والخير والشر هو البصيرة أو البديهة المباشرة ،وهو ما أطلق عليه البعض الحسّ الأخلاقي .

-ظهور اتجاه آخر يرى أصحابه أن معيار معرفة الخير والشر هو القانون ،واختلفوا في حقيقته فرأى البعض أن المراد به هو قانون الطبيعة البشرية التي تكشف عن التكوين السيكولوجي للإنسان كما هو عند بتلر ،بينما ذهب آدم سميث أن المراد به هو قانون التعاطف الوجداني. [1]

بينما ذهب فريق آخر إلى أن المراد بالقانون هو العقل وهو ما ذهب إليه ديكارت وهيجل وكانط.

-ظهور اتجاه آخر يرى أن معيار معرفة الصواب من الخطأ والخير من الشرّ إنما هو اللذة ،وهذا الرأي امتداد للمذهب الأبيقوري ،ومن أبرز القائلين بها في العصر الحديث بنتام الإنجليزي وجون ستيوارت مل وغيره.

-ظهور اتجاه آخر يقوم على فكرة أخلاق التطور ،ومن أشهر القائلين به روبرت سبنسر .[2]

---

[1] التعاطف : sympathy يطلق التعاطف على المشاركة بين شخصين ليس بينهما اتصال مادي مباشر ،أو تجاذب شخصين ليس بينهما معرفة سابقة ،والتعاطف شعور الشخص بما يشعر به الآخر ،فالتعاطف اشتراك في الميول والعواطف ،والاتحاد في الأفكار والمنازع ،والتعاطف لا يعني المشاركة في المشاعر فقط بل يقتضي المشاركة بالجهد والفعل أيضا يسعى الفرد من خلاله إلى مؤازرة غيره ،لذا كان التعاطف له جزء انفعالي باطني وجزء فاعلي خارجي .انظر : المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ، ج01،ص 296 وما بعدها بتصرف . ولعل هذه هي الفكرة المرادة عند آدم سميث كاعتبار التعاطف مصدر السلوكات الأخلاقية ومعيارا لها .

[2] أنظر ملخص هذه الآراء في : مقدمة في علم الأخلاق ،ليلي ،مرجع سابق ،ص 51 وما بعدها بتصرف.

المحور 03: النظرية الأخلاقية في الإسلام.

تمهيد:

ترتبط الأخلاق في الإسلام برسالة النبي ﷺ الذي لخّص مقصد مبعثه في قوله «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق» .[1]،وكان تحقيق هذا المشروع النبوي مؤيَّدا بالوحي في نصيه القرآن الكريم والسنة النبوية ،لتكون جهود علماء الإسلام بعد ذلك تقريب معاني الوحي ،وهو ما تجلّى في الدرس الأخلاقي الذي أسهم فيه علماء الإسلام في ثنايا العلوم الإسلامية المختلفة ،وهو ما يحتم علينا من الناحية المنهجية الوقوف ابتداء مع موضوع الأخلاق في القرآن الكريم .

1. الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية :

اهتم القرآن الكريم بموضوع الأخلاق من خلال الدعوة إلى مكارمها والنهي عن مساوئها ،حيث بلغت مجموع الآيات التي تحدثت عن الأخلاق صراحة أو إشارة ما يقرب من ربع العدد الإجمالي لآيات القرآن الكريم .[2].

وقد ورد مُصطلح الخُلُق في القرآن الكريم بهذا اللفظ مرتين [3] ،الأول قوله تعالى حكاية وشهادة لنبيّه ﷺ:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم /04 ،قال القاضي عياض في الشفا : " كان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خِلقته، وأول فطرته، لم تحصل له باكتساب ولا رياضة، إلا بجود إلهي، وخصوصية ربانية، وهكذا لسائر الأنبياء ." [4]

---

[1] سبق تخريجه.

[2] أنظر: مقدمة في علم الأخلاق ،كمال الحيدري ،مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة ، بدون تاريخ ، ص 05 بتصرف .

[3] أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّة، ط 1364 هـ، ص 245 بتصرّف.

[4] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،القاضي عياض ، دار الفيحاء ، عمان،الأردن،ط02، 1407هـ، ج01،ص 207.

والموضع الثاني ،قوله تعالى حكاية عن قوم عاد مع نبيهم هود عليه السلام:﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ الشعراء /137، وجاء في معناها:"ما هذا الذي نحن عليه من ألا بعث ولا حساب، إلا عادة الأولين وطبيعتهم واعتقادهم ."[1]

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ارتباط الخُلق بالالتزام بمكارم الأخلاق والفضائل والنأي عن الرذائل ومساوئ الأخلاق ،فالقرآن الكريم يُعتبر دستورا للأخلاق ،كما عبّر عن ذلك عبد الله درّاز في كتابه [2]،وذلك من خلال الدعوة الصريحة للأخلاق الحسنة والفضائل الفردية (من صبر –رضا– شكر–تواضع–عفو–إحسان ،وغيرها) وأخلاق أسريّة (مودة ورحمة–معاشرة بالمعروف) وأخلاق اجتماعية (–تعاون–تكافل–تضامن) وأخلاق الدولة والسياسة (العدل–الشورى–الطاعة ،وغيرها) ،وعلى النقيض منها حاول القرآن الكريم تهذيب النفوس بالدعوة إلى نقيض هذه القيم (بخل– حسد–جزع–عُجب–غرور–حسد–شحناء–بغضاء –ظلم–استبداد،وغيرها) .

كما وضع القرآن الكريم منهجا آخر في ترقية السلوك الإنساني وحمل المكلّف على الطاعات والعبادات من خلال ما أرساه من قواعد الإسلام الخمس(توحيد–صلاة –زكاة ،وغيرها) وأركان الإيمان الست،وعلى رأسها الإيمان بالله واليوم الآخر ،وكذا مقام الإحسان الذي يُعتبر تجسيدا حقيقيا وعمليا للمنظومة الأخلاقية في الإسلام على قاعدة إخلاص العمال لله عزوجل ،وهذا كلّه يجعل المنظومة الأخلاقية في القرآن الكريم محورا رئيسا ،وهو ما أشار إليه الشيخ محمد الغزالي في كتابه [المحاور الخمسة في القرآن الكريم] ،إذ يقول:" وعندما نتدبر رسالة الإنسانكما وصفها القرآن الكريم ،نعرف درجة الرفعة المنشودة له ،إن الله لم ينفخ من روحه في الكيان الآدمي ،ليكون الإنسان سَبْعا ضاريا ،بل ليرشحه لمكان التكريم،...وبهذه النفخة العليا استحقّ أن يُقال

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، مرجع سابق ، ج04،ص 153.

[2] سنتوقف مع الكتاب في حديثنا عن النظرية الأخلاقية في الإسلام .

في شأنه﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة /30 ،والخطأ العارض للإنسان لا يهدم مكانته ،إلا إذا صحبه الإسرار والإسفاف ،أما الإلمام العابر ،فإن دائرة الغفران تحيط به وتمحو أثره ." [1]

ولا نريد أن نقف مطولا مع ورود الأخلاق في القرآن الكريم لأن ما يعنينا هنا هو الحديث عن النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم والتي سنتوقف معها مع شيء من الشرح والتحليل .

أما السنّة النبوية ،فهي بيان وتفصيل وشرح لما جاء في القرآن الكريم من أحكام وقواعد ،لذا كان المسلمون في حاجة إلى بيان ما ورد في القرآن الكريم ،فلا يُمكن أن يُفهم القرآن الكريم على حقيقته ،وأن يُعلم مراد الله ﷻ فيه إلا بالرجوع إلى رسول الله الذي أنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما نزّل إليهم ،لذا كانت سنة الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي . [2]

ولما كانت الأخلاق محورا رئيسا للقرآن الكريم كانت كذلك في السنة النبوية ،بل إن سيرة المصطفى كانت كلها أخلاقا ،لذا جاء المدح في حق المصطفى برفعة مقامه وحُسن خلقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم /04،فجميع أقواله وأفعاله وأحواله كانت أخلاقا فاضلة وخلال رفيعة ،لذا بيّنت لنا السيدة عائشة –رضي الله عنها –معنى خلق النبي قائلة :" كان خلقه القرآن، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه ." [3]،وفي شهادة السيدة خديجة –رضي الله عنه– بعد نزول الوحي عليه بحراء «أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ » [4]،ويُلخص لنا الشاعر

---

[1] المحاور الخمسة في القرآن الكريم،محمد الغزالي،دار الشروق ، بدون تاريخ ، ص 158.

[2] أنظر : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي +دار الوراق للنشر والتوزيع ،بدون تاريخ ، ص 411.

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،القاضي عياض، مرجع سابق ، ج01، ص 207.

[4] جزء من حديث أخرجه البخاري عن عائشة ، كتاب تفسير القرآن ،باب ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ الضحى/03 ، رقم: 4953.

الفارسي سعدي الشيرازي أخلاق النبوة بكلام جامع :" بلغ العُلا بكماله كشف الدّجا بجماله حسُنت جميع خصاله صلّوا عليه وآله ." [1]

لذا كانت سيرة المصطفىﷺ العطرة كلها تهذيبا للنفوس وتزكية لها ودعوة صريحة إلى مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمودها وتصحيح المعوج منها بأسلوب الرحمة والشفقة والموعظة الحسنة ،والاحتفاء بقيم وأخلاق الأمم السابقة وتتميمها تأكيدا لقوله ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق» [2] ،وقد لخص القرآن الكريم مقصد نبوته ﷺ في قوله تعالى:﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران /164.وجاء في تفسيرها :" والتزكية التطهير، أي يُطهّر النفوس بهدي الإسلام ." [3]، ورسالة الإسلام هي أحكامه وشرائعه وعقائده ،وكلّ ما جاء من عند الله في وحيه أو على لسان نبيه ﷺ .

2.النظرية الأخلاقية في الإسلام(دستور الأخلاق في القرآن الكريم أنموذجا)

سنتوقف في هذه المحطّة مع النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم ونستثمر في هذه الفكرة الجهد الكبير الذي قدّمه عبد الله درّاز في كتابه [دستور الأخلاق في القرآن الكريم]،لكن قبل ذلك يُستحسن التعريف ببعض المصطلحات المركزية والتي على ضوئها يتحدد المراد من [النظرية الأخلاقية] باعتبارها صفة وموصوفا ،ليكون القرآن الكريم حقل معرفي مقدّس (وحي) يتم استخراج هذه النظرية منه والبحث عن تطبيقاتها الواقعية في السلوك الأخلاقي (فردا وأسرة ومُجتمعا ودولة).

1.2.مفهوم النظرية الأخلاقية :

جاء في المعجم الوسيط:" النظرية قضية تثبت ببرهان ،وفي الفلسفة طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية ."[4] ،وفي المعجم الفلسفي :"النظرية بالانجليزية theory ،

---

[1] روضة الورد ،سعدي الشيرازي،تعريب : محمد الفراتي ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق ، ط 1961، ص09.

[2] حديث سبق تخريجه .

[3] التحرير والتنوير، التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر – تونس،ط 1984،، ج04،ص 159.

[4] المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،إبراهيم مصطفى وآخرون،دار الدعوة ،بدون تاريخ.ج02،ص 932.

وهي قضية تثبت ببرهان ،وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي مؤلّف من تصورات مُنسّقة ،تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ ." [1]

وعلى هذا الأساس تتخذ النظرية مفهوما فلسفيا مبنيا على مقدمات منطقية بغرض الوصول إلى نتائج وفق هذه المقدمات ،فهي طريق منطقي ،وتتخذ هذه النظرية أشكالا وصورا متعددة بتعدد مجالاتها ،مما جعل لها إطلاقات مختلفة يرتبط بعضها بعلم الأخلاق :" وإذا أُطلقت على ما يُقابل العمل في المجال المعياري دلّت على ما يُتقَوَّمُ به معنى الحقّ المحض أو الخير المثالي المتميّز عن الإلزامات التي يعترف بها جمهور الناس ." [2]

وهذا الإطلاق أشرنا إليه من قبل في مفهوم الأخلاق من خلال تعريف (وليام ليلي) بأنه[العلم المعياري لسلوك الكائنات البشرية]،فارتباط النظرية بعلم الأخلاق من هذه الجهة يجعلها قواعد لتقييم السلوكات البشرية من حيث حُسنُها وقُبحها مما تعارف جميع العقلاء على حُسنه وقُبحه.

وفي موسوعة لالاند الفلسفية : "النظرية هي إنشاء تنظيري للعقل ،يربط النتائج بالمبادئ ،وهي ما يُقابل الممارسة العملية pratique في النظام المعياري ،أي ما يُمكنه أن يشكّل الحقّ المحض أو الخير المثالي المتميّزَين من الواجبات والفرائض المعترَف بها عموما ." [3]

وهذا التعريف تضمين لإطلاق مُصطلح النظرية في علم الأخلاق من حيث كونها معايير لتقييم السلوكات الإنسانية مدحا وذمّا كما أسلفنا من قبل .

2.2. النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم [دستور الأخلاق في القرآن الكريم نموذجا]:

1.2.2.التعريف بصاحب الكتاب

جاء في الأعلام للزركلي :"محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها الدين.كانت وفاته سنة 1958م ."[4] ،اهتم دراز

---

[1] المعجم الفلسفي ،مرجع سابق، ج02،ص 477.

[2] المعجم الفلسفي ،المصدر نفسه، ج02،ص 477.

[3] موسوعة لالاند الفلسفية ،مرجع سابق ،ص 1454.

[4] أنظر : الأعلام ،خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين،بيروت ،ط2002،15،ج06، ص 246.

بعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى كما اهتم بمبادئ علم الأخلاق في القرآن الكريم ،وكانت له علاقات متينة مع برجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة مع الشيخ الفضيل الورتلاني ، ،سافر على فرنسا 1936م ودرس علم الاجتماع والفلسفة والتاريخ ومقارنة الاديان بجامعة السوربون وتعرّف على مالك بن نبي في باريس عام 1936م،ترك درّاز عدة مؤلفات منها: دستور الأخلاق في القرآن الكريم–الربا من منظور التشريع الإسلامي–العبادات بين المثالية والواقعية – القانون الدولي العام في الإسلام ،وغيرها من المؤلفات .[1]

وفي المقدمة التي كتبها الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوي حول كتاب دراز بعض الإشارات المهمة ،منها أن أصل هذا الكتاب هو رسالة دكتوراه تقدم بها مؤلفها بجامعة السوربون بفرنسا ،وقد استغرقت كتابة هذه الرسالة ما يقرب من ست سنوات. شرع فيها المؤلف عام 1941، وتمت مناقشة الرسالة أمام لجنة مكونة من خمسة من أساتذة السوربون والكوليج دي فرانس في 15/ 12/ 1947.وبقيت الرسالة في أصل نصها الفرنسي إلى أن قام الدكتور عبد الصبور شاهين بترجمتها إلى العربية طيلة ثلاثة أعوام.[2]

يتضح من حياة الرجل ملامح العصر الذي عاش فيه (1894م–1958م) ،وهو العصر الذي شهد فيه الفكر الإسلامي مرحلة حاسمة من تاريخه ،وهي مرحلة الاستعمار الغربي ،وصعود المد الاستشراقي ورواج الفلسفة الغربية ذات النزعة المادية ،وهيمنة حضارة الكمّ التي كانت مُوجّهة للإنسانية بأسرها ،في الوقت الذي شهد فيه العقل المسلم ركودا وجمودا ونزعة تقليدية لكل ما هو غربي ،وهو ما يُحيلنا إلى إشكالية العودة إلى الذات التي رافع عنها عبد الله دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم ،وهو ما سيتضح في بيان دواعي التأليف .

---

[1] أنظر : موقع الجزيرة نت ، www.aljazeera.net مقال بعنوان محمد عبد الله دراز ..ابن الأزهر والسوربون ،المنشور في : 2016/11/13 ، تاريخ التصفح : 20 ماي 2020 على الساعة : 00:10

[2] أنظر مقدمة السيد محمد بدوي على كتاب دستور الأخلاق ،ص 07 وما بعدها بتصرف .

2.2.2.دواعي التأليف(الإشكالية المعرفية) :

ضمّن عبد الله درّاز –رحمه الله– مقدمة كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم بواعث تأليفه لكتابه :

" إن نظرة سريعة نلقيها على مؤلفات علم الأخلاق العام –التي كتبها علماء غربيون– كافية لنلحظ فيها فراغًا هائلًا وعميقًا, نشأ عن صمتهم المطلق عن علم الأخلاق القرآني.والواقع أن هذه المؤلفات تذكر لنا باختصار أو بإفاضة، المبادئ الأخلاقية، كما ارتأتها الوثنية الإغريقية، ثم أديان اليهودية والمسيحية. ولكنها حين تنتهي من عرض هذه المراحل الثلاثة، نجدها تنقلنا بغتة إلى العصور الحديثة، في أوروبا، مغفلة كل ما يمسّ الدستور الأخلاقي في الإسلام." [1]

إذن شكّل عامل التجاوز الغربي للخبرة الإسلامية في الدرس الأخلاقي باعثا لدى دراز في تأليف كتابه هذا ،وهي نزعة درج عليها كثير من المستشرقين والغربيين في نفي الأصالة والجدّة عن العقل المسلم مع وجود كثير ممن أنصفوا الحضارة الإسلامية ،وهو ما بيّنه دراز في إبرازه لمختلف الجهود الغربية التي حاول أصحابها خلال القرن 19 استخراج المبادئ الأخلاقية من القرآن الكريم ،لكنها كانت محاولات أغفلت الجانب النظري للأخلاق في القرآن الكريم ،وكانت أغلب محاولاتهم تجميعا لبعض الآيات الواردة في العبادة والسلوك وترجموها ترجمة حرفية .[2]

وثمّة مأزق منهجي آخر وقع فيه العقل المسلم على رأي دراز ،فالمتأمل في ما بذله المسلمون في مجال الأخلاق ،فلم تعرف مكتبتنا الإسلامية سوى نوعين من التعاليم الأخلاقية: فهي إما نصائح عملية، هدفها تقويم أخلاق الشباب، وإما وصف لطبيعة النفس وملكاتها، و تعريف للفضيلة وتقسيم لها، وفق النموذج الأفلاطوني، أو الأرسطي، فلم يكن هنالك سوى

[1] دستور الأخلاق في القرآن مرجع سابق،ص 02.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسُه ، ص 03 بتصرف.

جهود كانت ثمرات تأملات، ودراسات فلسفية، ولم يظهر فيها النص القرآني كلية، أو هو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية.[1]

وهذه إشكالية منهجية أنتجت قطيعة بين الوحي –باعتباره وعاء معرفيا ومشروع نظرية تربوية متكاملة– وبين العلوم الأخرى لذا يرى الغزالي أن القارئ يطوي الصفحات الطوال في كتب المتكلمين ولا يكاد يعثر على آية أو حديث إلا بعض اقتباسات تبدو كالزهرة المنفردة في الأرض السبخة ،وإن كان البحث الفلسفي يُروي عطش العاشقين لكنه لا يُغني في عرض المسألة من مصادرها لقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الأحزاب/04.[2]

3.2.2.الخصيصة المنهجية للنظرية الأخلاقية القرآنية :

إن الحديث عن النظرية الأخلاقية عموما له جانبان جانب نظري وآخر ميداني عملي ،فدراسة النص القرآني تكشف عن وجود هذين الفرعين لعلم الأخلاق ،كما تكشف عن الصورة التي جاءت بها حيث بلغت درجة من الكمال لا يُبتغى وراءها شيء. فالقرآن ،قد تميز عنه بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، وهو الذي ظل متفرقًا في تعاليم القديسين والحكماء، رغم تباعدهم، زمانا ومكانا.3

وعليه كانت الفطرة الإنسانية هي حجر الزاوية في المنهج التربوي القرآني الذي يجعلها مُرتكزا في خطابه إضافة إلى خاصية خطابه وجمعه بين العقل والوجدان "فالعقل وحده لا يكتسب ثقة النفس ما لم يدعمه شاهد من الواقع الذي يصدقه وذلك هو التاريخ بأحداثه وعبره ،وهو حتى بعد

---

[1] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسُه ، ص 04 بتصرف.

[2] عقيدة المسلم ، الغزالي ،محمد نهضة مصر للطباعة والنشر، ط01. 2003، ص 08 بتصرف.

[3] دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ، ص 08 وما بعدها بتصرف.

أن ينال من النفس هذه الثقة لا يستحوذ عليها بالقيادة والتوجيه ،مالم يُجند له جيش من العواطف والأشواق وتلك هي الإثارة الوجدانية ." [1]

وهذه الخصيصة المنهجية أشار إليها عبد الله درّاز مُبينا أن الحديث عن نظرية أخلاقية في القرآن الكريم لا يجعلنا ننساق وراء الدرس الفلسفي النظري وطرائق المنهج العقلي المؤسس على قواعد (التعريف – التقسيم – البرهنة – الاعتراضات –الإجابات) وهي أسس تخاطب جانبا واحدا في الإنسان وهو عقله ،لكن منهج القرآن الكريم يتوجّه إلى النفس بأكملها ،يقدم لها غذاء كاملا يستمد منه العقل والقلب على حدّ سواء .[2] ،وهذا ما يجعل منهج القرآن الكريم منهجا تربويا فريدا بتعبير محمد سعيد رمضان البوطي – رحمه الله – ،فما هي أسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم .

4.2.2.أسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم

–أولا :الجانب النظري :وفيه خمسة أسس مركزية تقوم عليها النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم ،وهي الإلزام–المسؤولية–الجزاء–النية والدوافع–الجهد.

1.الإلزام الأخلاقي:

1.1.مفهوم الإلزام لغة:الإلزام من الفعل الرباعي ألزَمَ ،وفي مختار الصحاح:" و (ألزمه) الشيءَ (فالتزمه) و (الالتزام) أيضا الاعتناق."[3]،وكون الإلزام اعتناق الأمر له ما يشهد له من حديث حارثة حين قال:(أنا مؤمن) وقول النبي ﷺ له «وَمَا حَقِيقَة إِيمانك؟» وقول حارثة في جوابه: (عزفت نَفسِي عَن الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي حجرها وذهبها...) وتعليق النبي ﷺ على قوله بقوله: «عرفت فَالْزَمْ عبد نور الله قلبه بِالْإِيمَان» [4]،أي التزم بما انطبع في قلبك ،ويشهد له أيضا قوله تعالى : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود:112)،وجاء في تفسيرها :"... وهي شاملة للاستقامة في العقائد

---

[1] منهج تربوي فريد في القرآن البوطي،محمد سعيد رمضان.دار الفرابي للمعارف ،دمشق سوريا،ص 15.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ، ص 14 بتصرف.

[3] مختار الصحاح،مرجع سابق، ص 282.

[4] أخرجه الْبَزَّار من حَدِيث أنس، وَالطَّبَرَانِيّ من حَدِيث الْحَارِث بن مَالك، وكلا الْحَدِيثين ضَعِيف.انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار،الحافظ العراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2005، ص 1575.

كالتوسط بين التشبيه والتعطيل، بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين، وفي الأعمال من تبليغ الوحي، وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط ولا إفراط."[1]

2.1. **مفهوم الإلزام اصطلاحا**:الإلزام في الفرنسية obligation وفي الإنجليزية obligation وفي اللاتينية obligatio،وللإلزام معنيان في اصطلاح الفلاسفة :

–الأول:الرابطة الحقوقية التي يكون بها فعل الشيء أو عدم فعله واجبا على الشخص تجاه الآخر،فهي من هذه الناحية علاقة بين طرفين يُسمى أحدهما دائنا والآخر مدينا ،فالدائن يمثل طرف الإلزام والمدين يُمثل طرف الالتزام ،فالدّائن مُلْزِمٌ والمدين مُلتَزِمٌ والدَّين ملزوم.[2]

–الثاني:**الإلزام الخُلُقي**: وهو ما ينشأ عن طبيعة الإنسان من حيث قدرتُه على الاختيار بين الخير والشرّ، فالشخص لا يستطيع التعاون عن فعل الشيء دون أن يعرض نفسه للخطأ واللوم.[3]

وعلى هذين المعنيين يرتبط الإلزام الأخلاقي بالمسؤولية التي تُناط بالإنسان باعتباره كائنا عاقلا مسؤولا عن أفعاله في مختلف مجالات الحياة، وعليه تتحدد أهمية الإلزام باعتباره محورا ليس لحياة الإنسان فحسب بل لنظام الكون بأسره، وهو التعليل الذي قدّمه درّاز:"ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية، وإذا عدمت المسئولية، فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضا، وطبقا لما يسمى بالمبدأ الأخلاقي."[4]

إن هذه الضرورة الأخلاقية التي يتخذها الإلزام ساقها القرآن الكريم وعبّر عنها بصور عدّة،فسمّاها أمرا= imperatif، وكتابة =prescription، وفريضة = devoir.[5]

---

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق، ج 02، ص 562.

[2] انظر: : المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ، ج01،ص 120-121 بتصرف.

[3] انظر: : المرجع نفسُه ،جميل صليبا ، ج01،ص 121 بتصرف. وانظر أيضا : موسوعة لالاند الفلسفية ،لالاند، ص 898 بتصرف.

[4] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق ، ص 21 .

[5] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسه، ص 22.

ومن صور الأمر في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل:90) ،ومن صور الكتابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (البقرة:178)، ومن صور الفريضة قوله في مُستحقي الزكاة (الأصناف الثمانية): ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة :60).

والأمر والكتابة والفريضة في اصطلاح الأصوليين من صيغ الأمر تقتضي الوجوب في هذا السياق أي إلزام الشارع بالفعل والتزام المكلّف بالأداء، مما يترتب عليه جزاء بالفعل أو الترك.

3.1.مصادر الإلزام الأخلاقي:يستقي الإلزام الأخلاقي مرجعيته من مصادر التشريع الإسلامي الأربعة التي تدور عليها أحكام التشريع الإسلامي، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وسنكتفي بالوقوف على المصدر الأول والثاني فقط (الكتاب والسنة)

1.3.1.القرآن الكريم:يرى عبد الله دراز أنه لما كان القرآن الكريم كلمة الله ذاته، فقد أصبح مستوفيا لشرائطه تلقائيا؛ لكي يعبّر عن الإرادة الإلهية[1]، والإرادة الإلهية التي يُشير إليها درّاز هي مقصدية تحقيق العبودية والاستخلاف، من خلال إقامة أحكامه وشرائعه وعمارة الكون وتحقيق العدل، لقوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:56)، وقوله أيضا : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:72)، وجاء في تفسير هذه الآية:" الأمانة هنا هي التوحيد في الباطن، والقيام بوظائف الدين في الظاهر، من الأوامر والنواهي، فالإيمان أمانة الباطن، والشريعة بأنواعها كلها أمانة الظاهر، فمَن قام بهاتين الخصلتين كان أميناً، وإلا كان خائناً."[2]

والتوحيد في الآية والقيام بالوظائف والمسؤوليات إلزام أخلاقي من الحقّ والتزام من العبد، وهو ما يفرضه ميثاق التوحيد الذي أقره الحق على عباده في عالم الذرّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ

[1] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسه، ص 37 بتصرف.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق، ج04، ص 468.

تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172)، ولا غرابة أن نجد الحقّ نفسه يصف هذا الكتاب الملْزم بأوامره ونواهيه بكونه هداية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:09).

وقد أشار عبد الله درّاز إلى الخصائص المنهجية التي تميّز بها القرآن الكريم باعتباره مصدرا للإلزام الأخلاقي، يُمكن أن نجمل ما ذكره في النقاط التالية:

1.رفض القرآن الكريم لاتباع الهوى: يُعتبر اتباع الهوى عدوا للإلزام الأخلاقي وللفضيلة على حدّ سواء[1]، لذا نجد القرآن الكريم ينهى الإنسان عن اتباع هواه، لأن اتّباعه يسدّ منافذ الخير والجمال ويقود إلى الرذيلة والظلم وغمط حقوق الناس، وفيه أيضا حجاب للعقل والبصيرة والنور، والآيات في هذا السياق كثيرة،منها قوله تعالى: فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا (النساء:135)، وخطاب الله لنبيه داوودعليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص:26)، بل نجد الله تعالى يرتب الجنة كجزاء لمن خالف هواه:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات:40-41). وهذا ما يشهد له قول النبي ﷺ : «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[2]

2.رفض الانقياد الأعمى للآباء والأجداد: إن بناء النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم مرهون بصياغة إلزام أخلاقي(أمر) يدفع المكلّف إلى نُشدان الخير والجمال وتجسيد إرادته تجسيدا مُبرّأ من كل ضروب التعسف والعبثية والتقليد الأعمى، فالقرآن الكريم يسعى إلى غرس الرؤية المتبصرة الواعية في الإنسان المسلم التي تجعله خالقا للفعل الأخلاقي مؤمنا به لا إمّعة تُسلب منه إرادته

[1] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسه، ص 25 بتصرف.

[2] أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس، في أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رقم: 2459، وقال : حديث حسن.

واختياره وقراره، وهو ما قد يُثمر فعلا مشوها في الحياةة السياسية والاجتماعية والمعرفية، وحتى الدينية، أين تتحوّل الشعائر والاعتقادات إلى طقوس جوفاء لا حياة ولا روح فيها، لذا يرى درّاز أن :"في الفرد إذن –من حيث كونه فاعلا– عنصر عقلي، أعني: عنصرا أخلاقيا، بالمعنى الحقّ، وفي الأمر الخُلقي عنصر آخر هو: العقل، والحرية، والمشروعية؛ وتلكم هي العوامل الأساسية."[1]

لذا يُقابل الله تعالى هؤلاء المتبعين لأجدادهم وآبائهم الملغون لعقولهم بالاستفهام الاستنكاري الذي ينعى عليهم إلغاء اختيارهم في أكثر من موضع، منه قوله تعالى:﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 170).

3.إحساس النفس بالخير والشرّ:من الحقائق التي أقرّها القرآن الكريم للنفس معرفتها بالخير والشرّ فقد بين الله تعالى أنها قد تلقت في تكوينها الأولي الإحساس بالخير وبالشر[2]، ،فهي تولد عالمة بذلك بسرّ قوله تعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس:7-8)، وقوله تعالى:﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة:14).

4.العذر بالإكراه والجبر: من المبادىء المهمة التي أرساها القرآن الكريم أيضا لبناء نظرية أخلاقية تقوم على الإلزام المثمر للتبعية والمسؤولية الأخذ بعين الاعتبار حال المكلّف أثناء القيام بالفعل (ملابسات الفعل)، فلا عبرة بما فيه جبر أو إكراه، وعلى هذا فلا إلزام إلا حين تتوفر الحرية والقصد وينتفي الجبر والإكراه، وهذا عام في أصول الاعتقاد والشرائع والمعاملات، قال تعالى :﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256) ،وقوله تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾(النحل:106)، وقوله تعالى في شأن المضطر إلى أكل ما حرّم الله حفظا لحياته: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:173)، لذا قعد الفقهاء قواعد تراعي أحوال المكلفين ومنها حال الإكراه :" عقود المكرَه وأقواله مثل بيعه، وقرضه، ورهنه، ونكاحه، وطلاقه.ورجعته، ويمينه، ونذره، وشهادته، وحكمه، وإقراره، وردته، وغير ذلك من أقواله،

[1] دستور الأخلاق في القرآن، صدر سابق، ص 25 بتصرف.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، صدر سابق، ص 27 بتصرف.

فإن هذه الأقوال كلها منه ملغاة مهدرة بالإجماع، فالمكرَه أتى باللفظ المقتضي للحكم، ولم يثبت حكم اللفظ؛ لأنه لم يقصده، وإنما قصد دفع الأذى عن نفسه."[1]

وفي كتاب الأخلاق الإسلامية وأسسها مبحث هام حول المسؤولية عن السلوك الأخلاقي، تناول المؤلف شروط ترتب المسؤولية عن الفعل الأخلاقي وجعلها ستة شروط رئيسة وهي:الأهلية–الإرادة–النية والقصد–العلم بالعمل وما يؤدي إليه العمل–الاستطاعة –الحريّة وعدم الإكراه.[2]

هذه بعض السمات المنهجية وخصائص النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم اقتصرنا على أبرزها لعلاقتها بالفعل الأخلاقي أداء وتحملا وتبعة.

1.2.3.السنة النبوية:تحتل السنة النبوية مرتبة رئيسية من القرآن الكريم من حيث كونها شرح له وبيان لأحكامه وقواعده، لذا جعل الله صحة الإيمان مقرونة باتباع ما ورد عن رسوله ﷺ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(النساء:65)، والمعنى: " أقسم بربوبيته على نفي إيمان من لم يرض بحكم رسوله."[3]

ولما كانت السنة النبوية –كما أشرنا سابقا–كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وجب التأكيد في هذا المقام على النبي ﷺ باعتباره بشرا وباعتباره نبيا يوحى إليه، وهذه مسألة مهمة في الإلزام الأخلاقي فحياة النبي تتخللها مجموعة من الأوامر، وهو ما يجعلنا نتساءل: هل جميع أوامر النبي ﷺ باعتباره بشرا وباعتباره رسولا تقتضي تكليفا وإلزاما؟يُجيبنا درّاز بقوله:

---

[1] القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة،محمد مصطفى الزحيلي،دار الفكر ، دمشق، ط01، 2006،ج01، ص70.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها،مرجع سابق، ج01، ص 116-117 بتصرف.

[3] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق، ج01، ص 522.

" أن جميع الأوامر النبوية لا تفرض تكليفا نهائيا، مهما يكن شأنه، شرعيا أو دينيا، إلا بقدر وبشرط أن ترتدي الفكرة التي يشتمل عليها صفة الوحي، صراحة أو ضمنا.فإذا عدمت هذه الصفة الإلهية لم يعد للدرس أو المثال الذي قاله الإنسان سلطان على أحد."[1]

ويستدل درّاز في تقرير هذه الحقيقة بنصوص القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ ، منها قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال:24)، وجاء في تفسيرها:" قال مجاهد والجمهور: المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي، ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية."[2]، ويستدل درّاز بقول النبي ﷺ فيما يُروى عن أنس، أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون، فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا، قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[3]

ويخلص عبد الله درّاز إلى نتيجة مهمة مفادها: " أنّ كل حديث صحيح لم يرد ما ينسخه، وكان موضوعه جزءا من رسالة النبي ﷺ بحيث أصبح في نهاية الأمر تعبيرا عن الإرادة الإلهية –هذا الحديث له في نظر المسلمين نفس السلطة الأخلاقية التي للنص القرآني."[4]

2.المسؤولية:

---

[1] دستور الأخلاق في القرآن، صدر سابق، ص 38.

[2] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة،ط02، 1964،ج07، ص 389.

[3] أخرجه مسلم عن أنس ،كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، رقم:2363.

[4] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص 41.

1.2.مفهومها:

1.1.2.المسؤولية لغة: جاء في مختار الصحاح، سأله الشيء وسأله عن الشيء سؤالا و مسألة و تساءلوا سأل بعضهم بعضا.[1]،وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم بعدّة صيغ، منها قوله تعالى:﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾(الصافات:24) ، وجاء في تفسيرها:" إنهم مسؤلون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، قال القرظي والكلبي والضحاك: عن خطاياهم. وقال ابن عباس: عن لا إله إلا الله."[2].

2.1.2.المسؤولية اصطلاحا:جاء في المعجم الفلسفي: المسؤولية في الفرنسية responsabilité وفي الانجليزية responsability ويُراد بالمسؤولية التبِعة، وتقول :أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، والمسؤول من الرجال هو المنوط به عمل تقع عليه تبِعتُه،مع اشتراط وجود قانون يأمر بالفعل أو بالترك، وتكون مخالفة المرء للقانون صادرة عن إرادته.[3]

وعلى هذا الأساس ترتبط المسؤولية ارتباطا وثيقا بالإلزام الأخلاقي ،فلما كان الإلزام يُمثّل سلطة الأمر كانت المسؤولية تحمّل المخَاطَب بهذا الأمر لتبعات فعله أو تركه فيكون محلّ مُساءلة.

ونتقسم المسؤولية إلى ثلاثة أقسام :مدنية-جنائية-أخلاقية،والمسؤولية الأخلاقية responsabilité morale فهي المسؤولية الناشئة عن إلزامية القانون الأخلاقي وعن كون الفاعل ذا إرادة حرّة، وعلى هذا الأساس تسقط المسؤولية عمن كانت إرادته تابعة لغيره ولا يُعدّ مسؤولا من الناحية الأخلاقية.[4]

ويقدّم لنا لالاند معنى للمسؤولية بكونها قبول المرء في ذاته وفي ذات الآخرين لعواقب أفعاله الطبيعية، أو هي موقف الفاعل الذي يتقبل عواقب أفعاله ،فالمسؤولية تتضمن تأملا مُسبقا في نتائج أعمالنا، وترتبط المسؤولية ارتباطا وثيقا باقتناع الإنسان أنه حرّ،ويجعل لالاند المسؤولية منوطة

---

[1] مختار الصحاح ،الرازي،مرجع سابق،ص 140.

[2] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، مرجع سابق، ج 15،ص 74.

[3] المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ، ج02،ص 369.

[4] المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ، ج02،ص 370.

بالشخص الذي يستطيع التوقع، فالذي يستمتع بالحياة بسبب اللامبالاة أو بإهمال الرويّة والتأمل قد لا يكون مسؤولا.[1]

من خلال هذين التعريفين تتحدد العلاقة الوطيدة والارتباط الوثيق بين العناصر الثلاث (الإلزام–المسؤولية–الجزاء):" يرتبط بفكرة الإلزام، ناتجان يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده، ويدعمه، هما: فكرة المسئولية، وفكرة الجزاء. والواقع أن هذه الأفكار الثلاثة يأخذ بعضها بحجز بعض، ولا تقبل الانفصام، فإذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على إثرها."[2]

2.2.شروط المسؤولية الأخلاقية وسماتها: تتميّز المسؤولية الأخلاقية وفق الرؤية القرآنية بمجموعة من السمات أبرزها:

أ–الطابع الشخصي للمسؤولية:أي أنها ذاتية فكل إنسان مسؤول عن أفعاله لا أفعال غيره، وهو ما ينتج عنه: "أن الثواب والعقاب لا يمكن أن يتأتى فيهما أي تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء, وإذا كان آباؤنا وأجدادنا مسئولين مثلا عن الأمثلة التي لقنوها لنا، والعادات التي أخذناها عنهم. وإذا كنا مسئولين عن الطريقة التي استعملنا بها هذه التركة، فلا يجب مطلقا أن نتحمل معهم وزر ما عملوا."[3]

وقد وردت في القرآن الكريم نصوص كثيرة تؤسس لهذا المبدأ والخاصية، منها قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام:164)، وجاء في معناها:" أي: تحمل نفس وازِرَةٌ أي: آثمة وِزْرَ نفس أُخْرى أي: لا يحمل أحد ذنوب أحد."[4]

وبناء على هذه الخاصية الشخصية للمسؤولية تتجلى العدالة الربانية :" فلا وجود لخطيئة موروثة، ولا لأخذ البريء بخطيئة المذنب، بل كل فرد مسؤول عن وحده عن عمله."[5]

---

[1] انظر:موسوعة لالاند الفلسفية ،مرجع سابق، ص 1216 بتصرف.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص136.

[3] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص149.

[4] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق.ج02،ص 193.

[5] الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ج01، ص 141.

وقد أرسى النبي ﷺ هذه القاعدة الأخلاقية، فحين أنزلت الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: 214) ، قال: «يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا»[1]

إن خاصية الطابع الشخصي للمسؤولية رفض لفكرة انسحاب خطيئة الإنسان الأول على كل الناس، كما جاء في الديانة المسيحية.[2]، بل خطيئة آدم تأكيد للطابع الشخصي،من جهة، وتأكيد لبشرية الإنسان ونسيانه وطبعه الكياني(جسد وروح)، وآدم أخطأ لكنه تاب من ذنبه فتاب الله عليه: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:37)

ب– الأساس القانوني: يقول درّاز: "هذا هو الشرط الثاني للمسؤولية، فالقرآن يعلمنا أن أحدا لن يحاسب على أفعاله دون أن يكون قد أعلم مسبقا بأحكامها."[3]

وقد أقرّ القرآن الكريم هذه القاعدة في أكثر من موضع، منها قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء:15)، وقد هيأ الله للإنسان أسباب العلم بالفضائل ومعرفة الخير والشرّ بطريقين، **أحدهما**: ما أودعه الله في الفطر والنفوس من محبة الخير والنفور من الشرّ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «البرّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[4]، وثانيهما:الإعلام المباشر عن طريق الرسل المبلغين، وفي التنزيل:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (القصص:59)

---

[1] أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب، رقم: 2753.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص149.

[3] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسه، ص163.

[4] أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم:2553.

وعلى هذا الأساس يقوم التكليف الأخلاقي وفق الرؤية القرآنية على علم المكلّف:" فليس يكفي إذن أن يصوغ الشارع شرائع، ويكلف رسله بإبلاغها، بل يجب أن يصل هذا التعليم إلى الناس، وأن يكون هؤلاء الناس على علم به."[1]

ج- العنصر الجوهري في العمل:يقول عبد الله دراز عن هذا الشرط أننا:" لنا علاقة أخرى بالعمل، فالأُولى علاقة معرفة، وهذه علاقة إرادة. والضمير الكلي للفرد الأخلاقي يحتوي هذه العلاقة المزدوجة في آن."[2]، وهذه الازدواجية هي التناغم الحاصل بين العلم بالعمل وما يؤدي إليه وبين توفّر إرادة الفعل، ومتى فقدت الإرادة سقطت المسؤولية على الفعل ومثاله :"الرعشات وكحركة النائم وكتصرفات المجنون الذي فقد إرادته العاقلة، وكالملجَأ إلى الأمر إلجاء مثل المقذوف مُكرها على إنسان فيقتله، أو على شيء فيتلفه."[3]

وقد أفاض الفقهاء في هذا المبحث وأمثاله في حديثهم عن تكليف المكره وجريان عقوده وطلاقه وكفره وغيرها، وفي القواعد الفقهية :" إنما ينسب حكم الفعل إلى الفاعل دون الآمر " ما لم يكن " الآمر " مجبرا " أي مكرها للفاعل على الفعل، فإذا كان مكرها له عليه فحينئذ تنسب ما يمكن نسبته من حكم الفعل إليه، لا إلى الفاعل، لأن الفاعل بالإكراه صار كالآلة في يد المكره."[4]

وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أبطل نكاح امرأة أُكرهت على النكاح، فعن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك «فأتت النبي ﷺ فرد نكاحها»[5]

د- الحرية:هذا هو الشرط الرابع الواجب توفّره في المسؤولية، ويقول درّاز مُقررا هذا الشرط ومُبينا أهميته وتناسبه مع المسؤولية الأخلاقية:

---

[1] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص166.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسه، ص172.

[3] الأخلاق الإسلامية وأسسها،مرجع سابق، ج01، ص 118-119.

[4] شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، صححه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، سوريا، ط02، 1989،ص 443.

[5] أخرجه البخاري عن خنساء بنت خذام، كتاب الإكراه، باب لا يجوز نكاح المكره، رقم: 6954.

" إن مبدأ التناسب بين المسئولية والحرية تمتد جذوره بعمق في الضمير الإنساني، بحيث لا يمكن تجاهله دون أن يبدو في موقفنا شيء من الإجحاف."[1]

وقد شغلت مسألة الحريّة حيزا واسعا في الفكر الفلسفي قديمه وحديثه، الإسلامي منه والغربي،ويُمكن تمييز ثلاثة اتجاهات تشكّل في مجملها خلاصة الآراء،وهي:

1.الاتجاه الجبري: وهو بدوره قسمان: الأول الجبرية الغيبية والثاني الجبرية الطبيعية، فالأول يرى أن الإنسان مجرد من حرية الإرادة وحرية الفعل،وهذا ما ذهب إلى الجبرية من المتكلمين المسلمين، والثاني ذهب إلى أن الإنسان مجبور أمام القوانين الطبيعية: قوانين الطبيعة البشرية والطبيعة الكونية، ومن أنصار هذا المذهب "فولتير وشوبنهور و هوبز وسبنسر.[2]

2.اتجاه حرية الإرادة:من أنصار هذا الاتجاه أرسطو الذي يبني الأخلاق على حرية الإرادة، وهو يفرق بين العمل الإرادي وغير الإرادي ومن أنصار هذا الاتجاه المعتزلة الذين قالوا بحرية الإنسان في الإرادة والتصرف، وفرقوا بين إرادة الله وإرادة العبد، ومن أنصار هذا الاتجاه أيضاً الفيلسوف الألماني كانط، فهو يرى أن الإنسان حر في إرادته ولا تخضع هذه الإرادة إلا للقانون الذي تضعه لنفسها بنفسها ولا تخرج عنه.[3]

3. اتجاه التوسط:من أنصار هذا الاتجاه الأشاعرة والماتريدية،وإلى هذا الرأي مال ابن مسكويه فهو يقول:" أن الذي ينبغي أن يعلم الآن أن وجود الجوهر الإنساني متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس إسمه وتعالى، فأما تجويد جوهره فمفوض إلى الإنسان وهو معلق بإرادته."[4]

هذا مُجمل الاتجاهات في مسألة الحرية الإنسانية، لكن مما ينبغي أن يُشار إليه هو تناول الحرية في ظلّ مختلف السياقات التي يحياها إنسان الراهن والتغيرات الاجتماعية والدولية والتحولات السياسية، مما يجعلنا نتساءل عن مشروع التحرر لا الحرية في ظلّ علوّ نزعات العنصرية والحروب

---

[1] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص181.

[2] علم الأخلاق الإسلامية،مقداد يالجن، مرجع سابق،ص 208 وما بعدها.

[3] علم الأخلاق الإسلامية،مقداد يالجن، المصدر نفسه،ص 209 وما بعدها.

[4] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،ابن مسكويه،مرجع سابق،ص 48.

والتعصب وخطاب الكراهية ، ومصادرة إرادة الشعوب والأفراد والأوطان، لذا يُقدّم لنا أحمد أمين تعريفا للحريّة يمكنه أن يقترب من مُشكلات الراهن ومأزق الحريّة باعتبارها أساسا للفعل الأخلاقي، يقول أحمد أمين:" أن يريد الإنسان ويعمل ما يريد من غير أن يكون لأي شيء آخر سلطان على إرادته أو عمله، وهى بهذا المعنى لا تكون إلا لله."[1]

وربط الحريّة بالإلهي تأكيد على رفض كل أشكال القهر والعبودية التي تُمارس على إنسان الراهن الذي يرزح تحت أسواط القهر ،لذا يقترح أحمد أمين كفهم أعمق لمسألة الحريّة تناول معناها في ظلّ أقسامها ومراتبها، وهي في نظره أربعة أنواع:الحرية ضد الرقّ–حريّة الأمم–الحريّة المدنية–الحرية السياسية.[2]

إن المساءلة الأخلاقية على ضوء هذه الأقسام لا تتوجّه للفرد فقط باعتباره مسؤولا، بل تأخذ طابعا جماعيا وبُعدا دوليا، فالكلّ مسؤول بمقدار ممارسته للحريّة وبمقدار تضييقه مساحة الحرية على الآخرين ومصادرة حق الشعوب في تقرير مصيرها، والجزاء الذي ينسحب على الجزء منسحب على الكلّ.

3.الجزاء:

1.3.الجزاء لغة: يُعتبر الجزاء الأساس الثالث الذي تقوم عليه النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم بعد الإلزام والمسؤولية،والجزاء في اللغة من الفعل جزى، وجزاه بما صنع يجزيه جزاء و جازاه بمعنى، و جزى عنه هذا أي قضى لقوله تعالى:﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة:48).[3]، وجاء في تفسير هذه الآية:" لا تَقْضي فيه نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً بحيث لا تجلِب لها نفعاً، ولا تدفع عنها ضرراً، ولا تقبل مِنْها شَفاعَةٌ إن وقعت الشفاعة فيها، ولا يؤخذ منها فداء، إن أرادت الفداء عنها، ولا تنتصر في دفع العذاب، إن أرادت الانتصار بعشيرتها."[4]

---

[1] كتاب الأخلاق ، أحمد أمين، مرجع سابق،ص 55.

[2] كتاب الأخلاق ، أحمد أمين، مرجع سابق،ص 56.

[3] مختار الصحاح، الرازي، مرجع سابق، ص 58.

[4] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، مرجع سابق، ج01، ص 103.

وعلى هذا المعنى يتخذ الجزاء في اللغة معنى المكافأة على الشيء والثواب وبذل الجهد في إيصال النفع والخير.

2.3.الجزاء اصطلاحا:الجزاء في الفرنسة sanction ، وفي الانجليزية sanction ، وفي اللاتينية sanctio، ومن معانيه الثواب والعقاب والجزاء والمكافأة على الشيء مقابل نعمة بنعمة، وهو في أصله الفعل المؤيَّد بالقانون كالعقاب الذي يُفرض على من ارتكب مُحرّما أو الوسام الذي يُجزى به من فاق أصحابه فضلا.[1]

ويُقدم لنا عبد الله درّاز صورة متكاملة ومترابطة للجزاء بربطه بما سبقه من أسس (الإلزام والمسؤولية)، فيقول:" فالقانون يبدأ بأن يوجه دعوته إلى إرادتنا الطيبة: فهو يلزمنا بأن نستجيب لتلك الدعوة، وبعد ذلك وبمجرد ما نجيب بكلمة نعم أو لا نتحمل بذلك مسؤوليتنا، وأخيرا وعلى إثر هذه الاستجابة يقوم القانون موقفنا حياله، فهو يجازيه،فالجزاء إذن هو ردّ فعل القانون على موقف الأشخاص الخاضعين لهذا القانون."[2]

ولما كان الفعل الأخلاقي يمتزج بالسلوك الاجتماعي والديني والنفسي جعله البعض أقساما ودرجات، وهي: الجزاء الطبيعي، ومثاله المرض جزاء عدم الاعتدال –الجزاء لشرعي، ومثاله الثواب والعقاب–جزاء الرأي العام، ومثاله مدح الناس وذمّهم–جزاء الضمير، ومثاله الرضا والندم – الجزاء الأخروي، ومثاله النعيم الأبدي أو الشقاء الأبدي.[3]

3.3.مراتب الجزاء وميادينه: يجعل عبد الله درّاز الجزاء ثلاثة أقسام، وهي: الجزاء الأخلاقي والجزاء القانوني، والجزاء الإلهي.[4]،وسنحاول أن نقف عند هذه الأنواع الثلاث على ضوء القرآن الكريم.

---

[1] انظر: المعجم الفلسفي ،جميل صليبا، مرجع سابق، ج01،ص 398.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص245.

[3] انظر: المعجم الفلسفي ،جميل صليبا، مرجع سابق، ج01،ص 399 بتصرف.

[4] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص244..

1.3.3. الجزاء الأخلاقي: يتساءل عبد الله درّاز ابتداء عن إمكانية وجود هذا النوع من الجزاء، لأن هذا الاطلاق(جزاء أخلاقي) يحمل نوعا من التنافر بين مُصطلحَيْ الجزاء والأخلاقي،مُعللا ذلك بكون طبيعة القانون الأخلاقي مُنزهة عن الإطلاق وليس الواجب الأخلاقي إلا أداء للواجب نفسِه، فلم الحديث عن الجزاء؟[1]

ومن الملفت للانتباه الإشارة إلى مدى ارتباط القانون الأخلاقي بالجانب الوجداني للإنسان، فالقانون الأخلاقي قبل أن يكون منظومة قانونية آمرة من الخارج هو في أصله سلطة داخلية، وما لم يوجد الضمير الحيّ للإنسان فلا معنى لوجود قانون أخلاقي ،فيرى درّازأن الإنسان بعد مباشرته لعمله يحدث بداخل ضميره أصداء، تختلف في درجة عمقها، تعبر عن الرضا في حالة النجاح، وعن الألم في حالة الفشل. وإذا لم يستشعر شيئا من هذا، لا يمكن أن يقال سوى أن القانون لا يوجد بداخل هذا الإنسان.[2]، وهذا الذي أشار إليه درّاز هو المعبّر عنه بالوازع الداخلي أو سلطة الضمير،وهو المعبّر عنه في الحديث السابق«البرّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»، ويستدلّ عبد الله درّاز على هذا المعنى بأحاديث للنبي ﷺ منها قول النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل سأله قائلا: مَا الْإِثْمُ؟ فَقَالَ: « إِذَا حَكَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ ". قَالَ: فَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: " إِذَا سَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، وَسَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ »[3]، والحديث الآخر :«إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه»[4]، وهذان الحديثان إشارة إلى القلب الحيّ المستشعر للذنب الخائف من العقوبة، وفي هذا باعث على إصلاح العمل واستقامة السلوك، وهذا في حدّ ذاته وازع أخلاقي وجزاء داخلي محمودة عواقبُه.

---

[1] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسُه، ص246بتصرف.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، المصدر نفسُه، ص248بتصرف

[3] أخرجه أحمد في مسنده عن أبي أمامة،رقم: 22159

[4] أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود،كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم: 6308.

"فالوجدان أو الضمير يعتبر محكمة عدل مباشرة لا تحتاج إلى شاهد ولا قاضٍ يخبرك بخيرية الفعل أو شريته قبل الفعل ويجزيك بالسرور إن كان فعلا حسنا وبالوخز والألم إن كان شرا، إن قيمة هذا الجزاء أكثر تأثيرا من قيمة الجزاء المادي."[1]

ولهذا نجد القرآن الكريم يحتفي بالحديث عن التأنيب الداخلي جرّاء الفعل وهو المعبّر عنه بالندم الباعث على التوبة وإصلاح الأعمال،" إن الندم أثر طبيعي للصراع، ولكنه ليس جزاء، أما التوبة فهي على عكس ذلك تماما: إنها ليست أثر طبيعيا، بل هي جزاء، وجزاء أخلاقي بالمعنى الحقيقي."[2]، وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم سبعا وثمانين مرّة(87)[3]، منها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:31).

2.3.3. الجزاء القانوني: يرى درّاز أن الجزاء في القانون sanction هنا يعني أساسا العقوبة بالمعنى الواسع للكلمة، الذي يضم الإجراءات التأديبية، والإجراءات العقابية ، فهو لا يحتفظ من طابعه المزدوج، الثوابي والعقابي كما هو في المنظومة الأخلاقية.[4]، وقد يكون الجزاء القانوني مرادفا للجزاء الاجتماعي وهو الجزاء المادي الذي يقرره المجتمع من عقاب للمنحرف ومكافأة للمستقيم الصالح، وعلى هذا الأساس فالمنظومة القانونية من أجل حفظ النظام وحفظ المصالح ودرء المفاسد ،لذا كانت القوانين متناغمة مع مقصد الشارع.

ويتناول عبد القادر عودة في مبحث العقوبات المقاصد التي يرومها الشارع، فهي:" الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع. والمقصود من فرض عقوبة على عصيان أمر

---

[1] علم الأخلاق الإسلامية،مقداد يالجن، مرجع سابق،ص 280.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص250..

[3] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآ الكريم، مرجع سابق،ص 156.

[4] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص261..

الشارع هو إصلاح حال البشر، وحمايتهم من المفاسد، واستنفاذهم من الجهالة، وإرشادهم من الضلالة, وكفهم عن المعاصي، وبعثهم على الطاعة."[1]

وقد تحدّث القرآن الكريم عن الحدود والتعازير والقصاص، وهو تشريع رباني حكيم الهدف منه إصلاح السلوك وتأمين المجتمع وردع الجاني عن جنايته، ففي القصاص بيّن الله الحكمة منه قائلا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:179)، وفي الحدود آيات كثيرة، منها ما جاء في حدّ السارق:﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة 38)، والملفت للانتباه في النصوص القرآنية التفات النص القرآني للجريمة وضرورة تطبيقها دون النظر إلى المجرم، وهي جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية، وقد بيّن عبد القادر عودة الحكمة من تعامل الشريعة الإسلامية مع مثل هذه الجرائم معللا ذلك بقوله:" أن الجرائم لا تقع بنسبة واحدة، وأن أكثر الجرائم وقوعاً وتكراراً هي جرائم الحدود، وجرائم القصاص والدية، وأن معظم الجرائم الباقية نادر الوقوع وأقلها هو الذي يتكرر ويكثر وقوعه، ولكنه على كل حال لا يصل إلى الدرجة التي تتكرر بها جرائم الحدود والقصاص.[2]

إن الصرامة في تطبيق الحدود والقوانين دون تفريق بين الناس لحسبهم ونسبهم طريق لتحقيق العدالة الاجتماعية ومؤشر قوي على قيام العمران واستمراره، لذا نجد النبي ﷺ يشدد النكير على التساهل في هذا الأمر والتفريق بين الناس مُعتبرا ذلك سببا في خراب العمران، وهو ما جاء في شأن المرأة المخزومية التي سرقت وحاول البعض التوسط بإرسال أسامة إلى النبي ﷺ فأجابه موضحا ومعلما ومنذرا داعيا إلى الاعتبار بأحوال الأمم السابقة:«أتشفع في حد من حدود الله،

[1] التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون تاريخ،ج01، ص 609.

[2] التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، المصدر نفسه، ج01، ص 710.

ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.»[1]

3.3.3. الجزاء الإلهي:إن المتأمل في النصوص القرآنية يجد القرآن الكريم رتّب على الفعل جزاءين أحدهما دنيوي عاجل والثاني أخروي آجل:

أ- الجزاء الإلهي في العاجلة: وهو ما رتّبه الله لعباده في الدنيا، والملفت للانتباه أن هذا النوع من الجزاء شامل للأفراد والأسر والمجتمعات والدول، وسنكتفي بذكر مثال واحد فقط لكل نوع فعلى مستوى الفرد يذكر القرآن الكريم الفرد بالفرج واليسر في عاجلته إن استقام على الأمر وصلح سلوكه، كقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُلَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:2-3) وعلى مُستوى الأسر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:35)، وعلى مستوى الجماعة قال:﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(هود:102).

ب- الجزاء الإلهي في الحياة الأخرى:يحتفي النص القرآني بتذكير المؤمنين ما أعدّه الله لهم من ثواب ونعيم مقيم يأخذ هذا الجزاء صورا متعددة، منها البشرى والوعد الحسن والفوز والفضل الكبير والشكر وحُسن المآب ومُضاعفة الحسنات وغيرها.[2]

لكن أعظم الجزاء وأرفعه هو رؤية الله عزوجل يوم القيامة وشفاعة نبيه ﷺ لأهل الكبائر من أمته، قال تعالى في شأن رؤية عباده المؤمنين له: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:22-23)، أما في شأن شفاعة النبي ﷺ فقد تواترت بذلك الأخبار الصحيحة، منها قوله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[3]

---

[1] أخرجه البخاري عن أسامة بن زيد، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار، رقم: 3457.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص363 وما بعدها بتصرف.

[3] أخرجه أبو داوود عن أنس بن مالك، كتاب السنة، بَابٌ فِي الشَّفَاعَةِ، رقم: 4739.

4. النية والدوافع: هذا هو الأساس الرابع الذي تقوم عليه النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم، ويعرفها دراز بقوله:" النية l'intention بالمعنى الواسع للكلمة حركة تنزع بها الإرادة نحو شيء معين، سواء لتحقيقه، أو لإحرازه بينما الدافع فهو مبدأ أو فكرة، تحفز النشاط الإرادي، وتمهد له، يطلق عليه باعث motif أو دافع mobile, والباعث تصور فكرة الخير الأسمى حالة عقلية صرفة، تستخدم في تسويغ العمل المعتزم، وجعله معقولا، وبيان مطابقته للقانون أو الشرع."[1]

ويبين عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الترابط بين النية والمسؤولية مشيرا إلى أنه إذا كان لصاحب العمل نية أو غاية أخرى غير التي صدر عنها فعله فإن مسؤوليته عند الله تكون وفق نيته وقصده، ويكون السلوك في هذه الحالة من باب العمل الملغَى وتكون نتائج الفعل من باب القدر، وعلى هذا الأساس كانت أعمال المرائين والمنافقين مُلغاة.[2]، والنصوص القرآنية في هذا الباب كثيرة منها قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح:11)، وقال في شأن المرائين: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:142)، وفي نصوص الحديث ما يُعتبر تقعيدا وتأصيلا، منها قول النبي ﷺ في الحديث المشهور : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى »[3]

ويعتبر هذا الحديث قاعدة فقهية جعلها العلماء أولى القواعد وأهمها :" الأمور بمقاصدها، ومعناها: أن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما هو المقصود من ذلك الأمر."[4] وتثمينا لهذه القاعدة وأهميتها رتّب الشارع الحكيم على النوايا الحسنة أجرا عظيما رغم الافتقار للفعل، ورتّب الأجر للذي نوى السيئة ولم يعملها، وهو منهج تربوي فريد، وهو ما يؤكده حديث النبي ﷺ : «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة

---

[1] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص 421 .

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها،مرجع سابق، ج01، ص 120 بتصرف.

[3] أخرجه البخاري عن عمر بن الخطاب، باب بدء الوحي، رقم:01.

[4] شرح القواعد الفقهية، الزرقا، مرجع سابق، ص 47.

ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[1]

وهذا المنهج الرباني باعث على إصلاح النوايا وإخلاص الأعمال لله والتنافس في الخيرات.

5. الجهد:هذا هو الأساس الخامس والأخير الذي تقوم عليه النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم كما استخلصها عبد الله درّاز،إذ يرى دراز ،ويستمد الإنسان جهده من خلال تلك الوظائف التي زوده الله بها، إذ الكريم أن الإنسان يولد لا يعلم شيئا: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(النحل:78)، وقال أيضا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد:8-9)

والجهد في نظر درّاز لا ينصرف إلىالمعنى المادي وحده(القوة والمقاومة) بل ينصرف أيضا إلى المعنى الأخلاقي،وهذا راجع لكون الجهد لا يتحدد بواسطة العمل وحده، بل بالعمل المؤثر الفعال، والدليل على ذلك أننا في كثير من الأحيان نملك الجهد والاستطاعة لكننا لا نفعل لافتقارنا للهمّة في إرادتنا الفاعلة، وما كان في إرادة الفعل كان في إرادة الترك أيضا، فعندما يجب علينا الامتناع عن الشر، في مواجهة القوى التي تدفعنا إليه، ففي هذه الحالات لا يكفي أن نعمل على الترك وحسب، بل يجب أن نجاهد بقوة وإصرار[2]، ولعلّ إرادة الفعل التي أشار إليه درّاز هو ما عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:159)، كما أن إرادة الترك أيضا هي ما أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:69).

وقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن القوة الأخلاقية الفاعلة- بتعبير عبد الله درّاز- في أكثر من موضع، منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق:06)، وقوله أيضا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن 16)، وقوله:﴿ فَلَا اقْتَحَمَ

[1] أخرجه البخاري عن ابن عباس، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم: 6491

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص 587 بتصرف.

الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (البلد:11-12)، وجاء في تفسير هذه الآية الأخيرة:" الاقتحام: الدخول بشدة ومشقة، والعقبة: كلّ ما يشق على النفس من الأعمال الصالحات، و لا هنا إمّا تحضيضية، أي: هلاَّ اقتحم العقبة."[1]، وهذا المعنى الذي قدّمه ابن عجيبة يتناغم مع نوعَيْ الجهد اللذَين أشار إليهما دراز- الجهد المادي والجهد النفسي الداخلي- فمجاهدة النفس جزء لا يتجزأ من مفهوم الجهد الذي يدور عليه القرآن الكريم، لذا نجد درّاز يُشيد بهذه الخصيصة المنهجية للنظرية الأخلاقية في القرآن الكريم قائلا:

"ولم يكتف القرآن بأن يستثير الناس إلى تحقيق هذا الاقتحام الساعد، بل مضى إلى حد أن أدخل فكرة هذا الجهد في تحديد الإيمان الصادق نفسه فهل بوسع أحد أن يضع الجهد الأخلاقي وضعا أسمى من هذا؟."[2]، وهذا ما أشارت إليه الآية:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات:15).

بعد عرضنا لأسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم كما جاءت في كتاب عبد الله درّاز، لا بأس **أن نذكر بهذه الأسس الخمس، وهي:** الإلزام-المسؤولية-الجزاء-النية والدوافع-الجهد.

وعلى ضوء هذه الأسس الخمس نورد خلاصة ما ذكره عبد الله درّاز في كتابه حول أسس النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم، ويمكن أن نوجز ما ذكره في النقاط التالية:

1. الجهد المطلوب، والمحمود في القرآن. إنه أولا نشاط أخلاقي ومادي يسخر لخدمة الواجب.

2.الواجب الأخلاقي لا يتجه فقط إلى الطاقات المتاحة، التي يستخدمها الإنسان، ولكنها تحتوي مختلف العلاقات بين الفرد من جانب، وربه، والناس أجمعين، ونفسه من جانب آخر، كيما تتوزع فيما بين هؤلاء جميعا توزيعا عادلا، فتنهض بمختلف تكاليفهم.

3. الواجب الأخلاقي نشاط نبيل متبصر في العواقب، فهو لا يريد في الواقع أن يستنفد ويستهلك استهلاكا وقتيا، فيصبح بلا ثمرة،، وبلا غد، بل هو على العكس يتوقع نوعا من الدوام، والثبات

---

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، مرجع سابق، ج 07، ص 306.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص 588 .

تزداد معهما الغبطة ويتنامى السرور.مع اشتراط توفر عناصره الثلاثة: "القوة، والمكان، والزمان" فيجب أن يندفع في طريقه، بحيث يتجنب الإفراط في حال تألقه، ويتجنب التفريط في حال تقاصره.

4. المبدأ العملي في القرآن، لا يقوم بجهد التقوى فحسب، بل هو مستصحب لقيم متعددة كالقناعة والعفة والكرم ورقة الصوت، ولطف المسلك.

5. القرآن، الذي تكمّله تعاليم الرسول ﷺ يقدم لكل فضيلة مقياسا حسيا، تسهل معرفته بدرجة كافية، وتنعدم بفضله تقريبا فرص الخطأ والالتباس، كما أن الشريعة الإسلامية بعد أن وضعت لكل فضيلة مقياسها النوعي، قد دبرت إحكام مجموع الفضائل بالقاعدة العامة التي تأمرنا بالتوفيق بين واجباتنا بعضها مع بعض.

6. الاعتدال الذي يمدحه الإسلام يتمثل في نبل يقترب بقدر الإمكان من الكمال، مقرونا بالسرور، وبالأمل، وهو ما يعبر عنه رسول الله ﷺ في توجيهاته إلى الرفق، ونحو ما هو عدل في ذاته: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »[1]

7. إن تعليم الناس واجباتهم الحسية مهمة عظيمة، قام بها القرآن كاملة على خير وجه، وإلى جانب هذه المهمة العملية قام بمهمة أخرى ذات طابع نظري، حيث قدم كل العناصر الضرورية، كيما تتكون لدينا فكرة دقيقة عن الطريقة التي ينبغي أن نتصور بها معنى الأخلاق، وأجابنا عن تساؤلا مركزية،مثل: من أين تأتي القاعدة الأخلاقية؟ وبأي الشروط تفرض نفسها؟وما النتائج التي تترتب على موقفنا منها؟ وما المبدأ الذي يجب أن يلهم سلوكنا؟ وبأية وسيلة تنال الفضيلة؟.

8. أن الشعائر الدينية المحضة لا تشغل في المنظومة الأخلاقية سوى أقلّ مكان، فإن حياة الإنسان الباطنة تتميز بعمق التدين فهو يحب الله فوق كل شيء، وهو يخضع كل شيء لإرادته، وهو يستوحي في كل موقف أمر الله ورضاه.

---

[1] أخرجه البخاري عن أبي هريرة،،كتاب الإيمان، باب: الدين يسررقم:39.

9. ليست الأخلاق القرآنية أخلاقا دينية فحسب، بمعنى أن رقابتها توجد فقط في السماء، وأن جزاءها فيما وراء الموت، بل هي منظومة متكاملة بمضامن إنسانية وفردية وأسرية واجتماعية ودولية فهي تكلف كل فرد في الأمة أن يحُولَ بكلّ الوسائل المشروعة دون انتصار الرذيلة والظلم.فقد زوّد الإنسانَ أخلاقيا بنظام تربوي غاية في الكمال، بحيث يصلح لجميع مراتب الأخلاقية. فالمبتدئ، والطيب، والحكيم، والقديس، كل هؤلاء يجدون فيه ما يشبع حاجتهم إلى الاقتناع سواء على المستوى العقلي أو العاطفي، الصوفي أو الإنساني.

10.التلازم بين الديني والأخلاقي واستحالة الفصل بينهما، رغم أن شريعة الضمير –طبقا للقرآن نفسه– سابقة في الوجود على شريعة الدين الإيجابية، فلقد نفخ الشعور بالخير وبالشر، وبالعدل وبالظلم، في كل نفس إنسانية منذ كان الخلق، ودليل ذلك ظهور الحس الإخلاقي عند الأطفال ابتداء من عمر التمييز، واستمراره خلال جميع الأعمار، حتى لدى الملاحدة؟.

11. الشريعة الإيجابية لم تأت لنسخ الشريعة الطبيعية، ولكي تعزل السلطة الخاصة التي ثبتت هذه دعائمها. فهي لم تبطل الشريعة القديمة، وإنما صدقتها، ومدت في عمرها، وحددتها. أما فيما يتعلق بالضمير، فهي لا تكتفي بأن تستلزمه فحسب، بل إنها بعد أن تغذيه، وتنوره، تعتمد عليه من جديد لدعم سلطانها الخاص.

12. الشريعة الإيجابية، وفق الرؤية القرآنية ليست إكراها يفرض نفسه علينا، دون مراعاة لقبولنا وموافقتنا، فإن الأمر الإلهي لا يمكن أن يصبح بالنسبة إلينا تكليفا أخلاقيا إلا برضانا. ولا يعتبر الإنسان أنه قد أطاع واجبه الديني إذا كان يؤديه دون إيمان بطابعه التكليفي، كأساس في نظام الأشياء الثابتة. فالواجب الأول هو الإيمان بالواجب، ويجب أن أتلقى من ذاتي الباطنة الأمر بطاعة هذا الأمر الأعلى.

13.الواجب الأخلاقي وفق الرؤية القرآنية تكليف يجعل شرط تطبيقه مجموعة من الاعتبارات، تحترم الوسع الإنساني، وتحسب حساب الواقع المادي، والتوافق بين الواجبات. ومن هنا فهو يخول كل ضمير فردي جزءا من النشاط التشريعي، وهو جزء ضروري لصوغ واجبه المادي في كل لحظة.

14. أساس الأخلاق القرآنية ليست اللذة، ولا المنفعة، ولا السعادة، ولا الكمال، فليست هذه كلها بقادرة في ذاتها على أن تنشئ هذا المبدأ، وكل ذلك يجب أن يكون خاضعا لسلطان الواجب، بأقدس معاني الكلمة، وأكثرها واقعية، وأسماها درجة.

15.الفكرة المركزية في النظام الأخلاقي وفق الرؤية القرآنية و الفضيلة الأم التي تتكاثف فيها كل الوصايا، هي التقوى، والتي تعني الاحترام البالغ العمق للشرع؟ وعلى هذا الأساس فالواجب الأخلاقي مطروح على الصعيد العاطفي، كمحرك للإرادة. ويستخدم كمحرك، ولجام في آن، وهو ما أطلق عليه النبي ﷺ بالحياء، وبهذا الشعور على وجه الدقة حدد رسول الله ﷺ روح هذه الأخلاق.

16. منهج القرآن الكريم في عرض النظرية الأخلاقية ليست ميزته تخفيف إصر التكليف، وأن تحمي قيمة الشخصية الإنسانية، بدلا من أن تحولها إلى مجرد آلة. وليست ميزتها فقط أنها قد أتاحت إشباعا عادلا ومعقولا لاتجاهين متعارضين في الإرادة الفردية: أعني حاجتنا المزدوجة إلى المطابقة، والمبادرة –ولكنها ذات أهمية عظمى في المستوى الاجتماعي، فبفضلها استطاع القرآن أن يبدع إطارا متجانسا بقدر يكفي لتكوين هذا الوسط الأخلاقي، المشترك بين جميع أعضاء الجماعة، ولكنه أيضا متنوع بقدر يكفي لتدخل في نطاقه درجات كثيرة للقيمة.[1]

[1] لمراجعة هذه النتائج المركزية التي صاغها عبد الله درّاز حول النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم، يُنظر: دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص 669 وما بعدها بتصرف.وقد أثبت هذه النتائج كما وردت نظرا لأهميتها البالغة في التأكيد على وجود نظرية أخلاقية في القرآن الكريم تقوم على أسس مركزية .

المحور الرابع: سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر مقارنا بالخطاب الغربي – كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن نموذجا–

نتوقف في هذا المحور الأخير مع سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر، وقد جعلت كتاب طه عبد الرحمن " سؤال الأخلاق" كنموذج لعرض الدرس الأخلاقي في الخطاب الإسلامي نظرا لكون الكتاب جهد فكري حاول فيه مؤلفه أن يعرض لنا الدرس الأخلاقي وفق الرؤية الإسلامية مستفيدا في ذلك من الجهود المبذولة في فلسفة الأخلاق مع نقد علمي للطروحات الغربية والحداثية للمسألة الأخلاقية، لذا جعل طه عبد الرحمن شطرا من عنوان كتابه كمحطة نقدية للحداثة الغربية، فكان عنوان كتابه " سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية"، وسنتناول هذا المحور وفق المحطات التالية:

نبذة عن الفيلسوف طه عبد الرحمن– كتاب سؤال الأخلاق وإشكالية العقلانية و الأخلاقية– كتاب سؤال الأخلاق والنقد الأخلاقي للحضارة الغربية.

1.نبذة عن الفيلسوف طه عبد الرحمن

ولد الأستاذ عبد الرحمن طه بمدينة الجديدة سنة 1944م، وبها تلقى تعليمه الأولي والابتدائي ثم تابع دراسته الإعدادية بمدينة الدار البيضاء والتحق بجامعة محمد الخامس بالرباط حيث نال الإجازة في الفلسفة واستكمل دراسته الجامعية بفرنسا،وحصل على دكتوراه السلك الثالث من جامعة "السوربون"بباريس سنة 1972 ببحث في "فلسفة اللغة" عنوانه "رسالة في البُنى اللغوية لمبحث الوجود" (Essai sur les structures linguistiques de l' ontologie) .

رجع بعدها إلى المغرب أستاذا في جامعة محمد الخامس بالرباط يدرّس المنطق وفلسفة اللغة، وحصل على دكتوراه الدولة عام 1985 بأطروحة في المنطق والمنهجية الأصولية عنوانها: رسالة

في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه (Essai sur les logiques des raisonnements argumentatifs et naturels)[1]

-أستاذ مناهج المنطق وفلسفة اللغة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط منذ 1970 إلى غاية 2005.

- أستاذ زائر ومحاضر بعدة جامعات عربية(تونس، الجزائر، الأردن، مصر، ليبيا، السودان، العراق ...).

-أحد مؤسسي "اتحاد كتاب المغرب" الذي يوجد مقره بالرباط.

- ممثِّل "الجمعية العالمية للدراسات الحِجاجية" التي يوجد مقرها بأمستردام في هولندا: (International Society For The Study of Argumentation).

-ممثل "جمعية الفلسفة وتواصل الثقافات" التي يوجد مقرها بكولونيا في ألمانيا. (Gesellschaft für Interkulturelle Philosophie).

-عضو سابق في المجلس الأعلى لـ"جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس".

-عضو في مجلس الأمناء لـ"الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين".

-مدير مجلة "الأمة الوَسَط" التي يصدرها "الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين" ابتداء من سنة 2007.

- عضو في مجلس الأمناء لـ"المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية" التي يوجد مقرها بالكويت.

-نائب سابق لرئيس "الجمعية الفلسفية العربية"التي تتخذ عمَّان مقرا لها.

---

[1] انظر : طه عبد الرحمن، قراءة في مشروعه الفكري،إبراهيم مشروح،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت، ط01، 2009،ص 27 وما بعدها بتصرف.وانظر أيضا: موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،على الرابط http://www.habous.gov.ma/2014-07-21-11-55-، تاريخ التصفح 25 ماي 2021 على الساعة: 09:16 صباحا.وانظر أيضا: سيرة الرجل على موقع الجزيرة، على الرابط : https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/11/28

-رئيس "منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين"الذي يتخذ الرباط مقرا له.

-خبير "أكاديمية المملكة المغربية".

-مشارك في الدروس الدينية الحَسنية التي تُلقَى في رمضان بحضور ملك المغرب.

- أستاذ محكم ومستشار في عدد من المجلات العلمية.

-حاصل على جائزة المغرب في العلوم الإنسانية لسنة 1988 عن كتابه: "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" ولسنة 1995 عن كتابه "تجديد المنهج في تقويم التراث"

-حاصل على جائزة الدراسات الإسلامية للإيسيسكو لسنة 2006 عن كتابه: "سؤال الأخلاق".

-له عدة مساهمات في المؤتمرات العلمية: الوطنية والعربية والعالمية وعدة دراسات ومؤلفات في المنطق والفلسفة واللسانيات والإسلاميات("أصول الفقه" و"علم الأخلاق" و"علم الكلام") بالعربية والفرنسية والإنجليزية، منها كتبه التالية:

اللغة والفلسفة (بالفرنسية)، 1977، -المنطق والنحو الصوري، 1983.-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 1987.-العمل الديني وتجديد العقل، 1989.-تجديد المنهج في تقويم التراث، 1994.-فقه الفلسفة، 1- الفلسفة والترجمة، 1995.-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998.-فقه الفلسفة، 2- المفهوم والتأثيل، 1999.-حوارات من أجل المستقبل، 2000.-سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، 2000.-الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2002.-الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، 2005.-روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، 2006.-الحداثة والمقاومة،2007.-روح الدين، من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، 2012.-سؤال العمل، 2012.-الحوار أفقا للفكر، 2013.-بؤس الدهرانية، نقد الفصل بين الأخلاق والدين (قيد الطبع).[1]

[1] انظر : طه عبد الرحمن، قراءة في مشروعه الفكري،إبراهيم مشروح،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت، ط01، 2009،ص 27 وما بعدها،وانظر: موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،على الرابط

ومن آخر أعماله كتابه ثغور المرابطة مقاربة ائتمانية لصراعات الأمة الحالية،منشورات مركز مغارب، المغرب ،ط2018،01م.

2. كتاب سؤال الأخلاق وإشكالية العقلانية و الأخلاقية

في مقدمة كتابه سؤال الأخلاق أثار الفيلسوف طه عبد الرحمن إشكالية صاغها في سؤال مركزي **مفاده:أيهما أخصّ بالإنسان العقلانية أم الأخلاقيّة** [1]؟،قد يوحي هذا السؤال بهم منهجي وتربوي يحمله طه عبد الرحمن، إذ يشكّل التقابل بين الثنائيتين العقلانية والأخلاقية تقابلا بين القيمي والحاجي والغيبي والمادي والسماوي والأرضي،إذ طالما ارتبط العقل بعالم الأسباب والقوانين والجدل والبرهان والبحث والنظر، وهذا كلّه مطلب منهجي وضرورة حضارية لا غنى عنها قد تؤهل الإنسان يقينا إلى التمكّن من عالم الشهادة وتحقيق المطالب والحاجيات باعتبار طبيعة الخِلْقة (الجسد) مما يجعل الإنسان يعيش وفق طبيعته على قول الرواقيين، حتى الأفكار والرؤى النظرية المجردة نفسِها – وفق العقلانية- هي مسخّرة لإعمار هذا العالم، لكن هذا المجال المادي مساحة ضيقة إذا ما قُورنت بعالم الإنسان الرحب (القيم والروح)، وفي المعنى الذي قدّمه جميل صليبا عن العقلانية ما يجعلنا نقترب من الإشكالية التي طرحها طه عبد الرحمن، ومما جاء فيه:

العقلانية rationalisme وتعني أوليّة العقل وتُطلق على خمسة معاني وهي:

أ.كل موجود فيه علّة في وجوده، فلا يحدث شيء في العالم إلا وله مرجّح معقول.

ب.أن المعرفة تنشأ عن المعارف القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسيّة، وعلى هذا فالعقلانية هنا تطلق ضد التجريبية.

-http://www.habous.gov.ma/2014-07-21-11-55، تاريخ التصفح 25 ماي 2021 على الساعة: 09:16 صباحا. وانظر أيضا: سيرة الرجل على موقع الجزيرة،على

الرابط:https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/11/28،تاريخ التصفح: 25 ماي 2021، على الساعة :09:30

[1] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 13.

ج.العقلانية هي كون العقل شرط في إمكان التجربة، فلا تكون التجربة ممكنة إلا بوجود مبادىء عقلية تنظم معطيات الحسّ.

د.العقلانية هي الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة ،فقوانين العقل مُطابقة لقوانين الأشياء الخارجية، فكل موجود معقول، وكل معقول موجود، ومن إفرازات هذا المعنى كون العقل قادر على الإحاطة بكل شيء دون عون من القلب أو الغريزة أو الدين.

هـ.العقلانية عند بعض علماء الدين هي القول بأن العقائد الإيمانية مُطابقة لأحكام العقل،وهذه العقلانية لها ثلاثة أوجه:**أولها**: العقل شرط ضروري وكاف لمعرفة الحقائق الدينية،**ثانيها** :الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمبادىء العقلية،**ثالثها**:الدفاع عن العقائد الإيمانية بعد إثباتها بالشرع من حيث يمكن الاستدلال عليها بالأدلة العقلية.[1]

هذه أبرز المعاني التي تدور عليها العقلانية من الناحية الفلسفية، ولعلّ المعنى الثالث بكون العقلانية (العقلانية هي الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة دون عون خارجي) هو محور ما طرحه الفيلسوف طه عبد الرحمن في مُقابلته بين العقلانية والأخلاقية ،وإن كانت العقلانية ما بيناه في المعنى الثالث،فالأخلاقية متضَمنة فيه أيضا وزحزحة العقلانية للعون الخارجي (القلب – الغريزة–الدين) هو زحزحة ضمنية للأخلاقية التي يُمليها الضمير أو يشرعها الشرع والقانون، كما بينا ذلك سابقا في أسس النظرية الأخلاقية من خلال حديثنا عن الإلزام الأخلاقي وكونه السلطة الآمرة بالفعل، وقد تتخذ هذه السلطة صورة الضمير الحيّ أو الشرع أو القانون أو المجتمع ، بل وحتى طبيعة الإنسان نفسِها (الغريزة) ،وفيما طرحه الفيلسوف طه عبد الرحمن في مقدمة كتابه تأكيد لهذا الفصل المنهجي من خلال نقده لما آل إليه إنسان العصر المصاغ وفق الرؤية الحضارية الغربية المهيمنة (المادي النفعي)، يتساءل طه عبد الرحمن:" ألا ترى كيف أنه يقدم قليل النفع على كثيره ،إن لم يقدّم صريح الضرر على صحيح النفع كما يفعل الجهلة من الخلق؟ وهل في الضرر أسوأ من أن يدعو إلى حقوق وحظوظ تُخرجه من رتبة الإنسانية وتنزل به إلى درَك البهيمية،

[1] انظر: المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ، ج01،ص 90-91بتصرف.

مُحتجا في ذلك أنه يتبع طريق العقلانية الواضح الذي هو وحده عنوان الإنسانية؟لكم لو كان ما يدّعيه هذا الإنسان صحيحا ...فيا ترى كيف بالطريق العقلاني الذي يتبعه يُفضي به إلى نقيض مقصوده ؟ألم يكن يريد به أن يزداد استقامة، فإذا هو يزداد اعوجاجا؟ بلى."[1]

هذا النص تصوير دقيق ومحاكاة حقيقية لإنسان الراهن، إنسان الحاجة والمنفعة والمصلحة، وإنسان الفردانية والشخصية، أليس فيما يشهده العالم من حروب ودمار ونزعات عنصرية وتفريق واستعلاء وتسيّد إلا صورة فوتوغرافية للمأزق الأخلاقي الذي وصل إليه إنسان الراهن؟ أوليست الحروب البيولوجية الراهنة (كوفيد 19 نموذجا) إلا دليل قاطع على غياب المنظومة الأخلاقية التي تجعل الرحم الإنسانية فوق كل اعتبار ،وهذا المعنى أشار إليه النّورسي –رحمه الله– في كليات رسائل النور في سياق نقده لأسس المدنية الحاضرة، التي تستند على خمسة نقاط : القوّة وهذه شأنها الاعتداء– المنفعة وهذه شأنها التّراحم . –الجدال والصّراع وهذه شأنها التّنازع – رابطة العنصريّة والقوميّة السّلبيّة وهذه شأنها التّصادم.–إسقاط الإنسان من درجة الملائكيّة إلى درجة الحيوانيّة الكلبيّة وهذا فيه مسخ معنوي للإنسان.[2]

وعلى هذا الأساس فإنسان العقلانية أو الحضارة الغربية يسعى (وفق نتائج عقلانيته) إلى إصلاح ما قد يقع فيه بالطريق العقلاني نفسِه الذي استحدثه غير مُعتبر بانقلاب المنفعة إلى مضرّة، ولا يكاد يفرَغ من إصلاح اعوجاجه حتى يظهر له فيما اعتمد من أسباب عقلانية أخطاء أخرى وأسباب أذى جديدة يسعى مجددا للبحث عن وسائل لدفعها، وهكذا دواليك إلى أن ينقضي عمرُه.[3]،إن هذا الصنيع الذي أشار إليه طه عبد الرحمن إنْ هو إلّا التسلسل والدور في الفكر الفلسفي، وقد ثبت بُطلانه لاستحالة حدوث ما يؤدي إليه، قال الغزالي في التهافت:"

---

[1] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 13.

[2] انظر: سيرة ذاتية، النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، استنبول، ط 1، 1998م، ص 139 بتصرّف. وانظر أيضًا مقارنة النّورسي بين مدنيّة القرآن الكريم والمدينة الحاضرة في: المكتوبات، النورسي ترجمة: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر، استنبول، ط01، 1992م،ص 606 وما بعدها بتصرّف.

[3] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 13.

فكل حادث فله سبب حادث إلى أن ينقطع التسلسل بالارتقاء إلى الحركة السماوية الأبدية."[1]
،وفي الإشارات والتنبيهات لابن سينا:" التسلسل محال وهو مشهور عند بعض أهل النظر."[2]
وهذا المأزق الذي قد يقع فيه إنسان العقلانية ناتج من التعويل على الأسباب والقوانين والاطمئنان إلى نتائجهما بناء على القول بالحتمية، ولنا في راهن الإنسان المعاصر ما يدحض هذا الزعم ،ألم ينادي إنسان العقلانية في ظلّ وباء كوفيد 19 الذي حصد آلاف الأرواح في أوروبا قائلا :" عجزت حلول الأرض ولم تبق إلا حلول السماء؟!."

ومن الأسس الفكرية والمنهجية لإنسان العقلانية – على قول طه عبد الرحمن– :"الاعتقاد بأن العقل لا يملك اليقين النافع الخالي من الضرر، ولا يملك الصواب الذي لا خطأ معه."، ويردّ طه عبد الرحمن على هذا الأساس مُعتبرا أن هذا الوصف يجعل إنسان العقلانية يقترب من عالم البهيمية، فهذا القدر من العقلانية هو القوّة الإدراكية نفسُها التي يتمتع بها الحيوان، إذ هو لا يهتدي إلى غرضه إلا بعد محاولات متكررة ولا يضمن لنفسه العودة إلى الخطأ وعلى هذا الأساس نزل هؤلاء بزعمهم بالإنسان إلى مرتبة البهيمة من حيث أرادوا رفعه.[3]

وبناء على هذه المقدمة التي طرحها طه عبد الرحمن يبْطُل كون العقلانية هي الحدّ الفاصل بين الإنسانية والبهيمية، لذا من العقلانية البحث عن حدّ آخر فاصل بينهما ،وإذا بطُل كونه العقلانية فما ذا يكون على رأي طه عبد الرحمن؟.

يُجيبنا طه عبد الرحمن مُبينا صفات وخصائص هذا الحدّ الفاصل :

" وجب أن يكون هذا الحدّ الفاصل في شيء لا ينقلب بالضرر على الإنسان من حيث أراد الصلاح في الحال والفلاح في المآل، ولا يقع الشكّ في نفعه متى تقرر الأخذ به ولا في حصول الضرر متى تقرر تركه ، وليس هذا الشيء إلا مبدأ طلب الصلاح نفسِه، وهو الذي نُسميه باسم

[1] تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ،ص 225.

[2] الإشارات والتنبيهات، أبو علي بن سينا، ، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط03،بدون تاريخ

[3] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 13-14 بتصرف.

الأخلاقية، فالأخلاقية هي وحدها التي تجعل **أفق الإنسان مُستقلّا عن أفق البهيمة**، فلا مراء في أن البهيمة لا تسعى إلى الصلاح في سلوكها كما تسعى إلى رزقها مستعملة في ذلك عقلها، **فالأخلاقية هي الأصل الذي تتفرّع عليه كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك**، والعقلانية التي تُستحقّ أن تُنسب إليه ينبغي أن تكون تابعة لهذا الأصل الأخلاقي."[1]

يتجلّى الجمع بين الغيبي والحسي،والعاجل والآجل في هذا الحدّ الذي رأى فيه طه عبد الرحمن حدا فاصلا بين البهيمية والإنسانية، كما يتجلى أيضا الدرس المقاصدي في التأكيد على جلب المصالح ودفع المضارّ وهي رؤية تُرافع عن الإنسان ابتداء من حيث وجودُه وبقاءُ نوعِه وكونُه مُكلّفا مطالبا بالعبودية والاستخلاف وعمارة الكون، وهي رؤية توحيدية تستحضر الغاية والهدف من الخلق وتسمو عن اللحظية والآنية التي تكرّس لها العقلانية.

لذا كان هذا الحدّ والأفق (الأخلاقي) هو الفيصل بين الحيوان والإنسان ،وقد تناولنا مفهوم السلوك الأخلاقي وغاية علم الأخلاق في المحور الأول حيث بينا آفاقه الملية والإنسانية الاستيعابية وخصائصه الشمولية والامتداد الزمني والجغرافي حيث تظهر المنظومة الأخلاقية كمنظومة كونية، وهو ما أكدّه النبيﷺ «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ» [2]

إن ما طرحه الفيلسوف طه عبد الرحمن نقد ضمني للحداثة والضارة الغربية التي ارتضت العقلانية مسلكا لها وشرعة ومنهاجا، لذا يرى يطرح طه عبد الرحمن فيها أنها عقلانية مجردة يلتقي فيها الإنسان والحيوان على حدّ سواء، **لذا فالبديل هو الانتقال من عقلانية مجرّدة من الأخلاقية إلى عقلانية مُسدّدة بالأخلاقيّة** ، ولما كان أمر الإنسان قائما على العقلانية المسددة وجب أن تتجلى هذه الأخيرة في كلّ أفعال الإنسان وحركاته، ولا فرق في ذلك بين فعل تأملي مجرّد وفعل سلوكي مجسَّد.[3]

---

[1] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 14.

[2] أخرجه مالك في موطأه بلاغا ، رقم:08.

[3] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 15.

ويحلل الباحث بن سعيد محمد في مقاله عن سؤال الأأخلاق عند طه عبد الرحمن مقصدية هذا الطرح بقوله:"من هذا المنطلق يعتقد عبد الرحمن، إنه بفقدان الأخلاق يختل نظام الحياة، ولذلك فإن النقد الأخلاقي للحداثة يقصد الحداثة الغربية، لأنها أخلت بالصفات الأخلاقية التي تعطي معنى للوجود الإنساني. والأمة الاسلامية ستبلغ الحداثة الحقيقية متى كانت على درجة متصاعدة من المجاهدة والارتقاء العام في التخلق مع الله والذات والغير وجميع الموجودات والمخلوقات."[1]

ولهذا لما كانت الأخلاق في نظر الفيلسوف طه عبد الرحمن ضرورية يختل بفقدها نظام الحياة، لذا كان النقد الأخلاقي موجها للحداثة الغربية لكونها أخلّت بهذه الصفات الضرروية – الجانب الأخلاقي- التي تعطي للإنسان معنى وجوده، فالقيمة الأخلاقية عند طه عبد الرحمن أسبق على غيرها من القيم، فكلّ أفعال الإنسان تقوم تحت التقويم الأخلاقي.[2]

إن ما أراده طه عبد الرحمن من طرح الأخلاقية بدلا من العقلانية هو التأكيد على العقلانية المسددة والمؤيدة كبديل للفصل المنهجي،:" لكونها لا تفصل بين القول والفعل وبين المعرفة بالله والعلم بالأشياء، وبلوغ هذه المرتبة يجعل صاحبها قابلا لتقي الخطاب الإلهي وقادرا على الاشتغال بالله والتعامل فيه، وهي الخاصية الجوهرية للفعل الإنساني، وهذا لا يحققه إلا الدين نفسه الذي يجعل الإنسان يرتقي من مرتبة العقلانية المجرّدة إلى مرتبة العقلانية المسددة بأحكام الشريعة الإسلامية، ليرتقي بعد ذلك إلى رتبة العقلانية المؤيَّدَة ويصبح بهذا مالكا للعقل الكامل الذي يجعله يدرك ما لا يدرك غيره ويصيب حيث لا يصيب."[3]

---

[1] الحداثة وسؤال الأخلاق في المدونة الفكرية لطه عبد الرحمن، ابن سعيد محمد، مقال منشور في الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية.، جامعة البيض، قسم الآداب و الفلسفة. العدد 15 –جانفي 2016،ص 38

[2] نقلا عن: طه عبد الرحمن، قراءة في مشروعه الفكري، مرجع سابق، ص 232.

3 النقد الصوفي للحداثة – قراءة في كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن-،كمال عبد اللطيف، مقال منشور بمجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، العدد: 14، صيف 2007، ص 342-343.

3. كتاب سؤال الأخلاق من حضارة القول إلأى حضارة الفعل

في كتاب سؤال الأخلاق فصل خاص بنقد الحضارة الغربية جاء بصيغة تساؤل مركزي مفاده:حضارة القول كيف يُمكن درء آفاتها الأخلاقية؟

وقد قدّم الفيلسوف طه عبد الرحمن لهذا الفصل بمقابلة بين الدرس الفلسفي اليوناني باعتباره ممثلا لحضارة القول وأرسى مبدأ " الإنسان حيوان ناطق"، وبين الدرس الإسلامي الذي أرسى مبدأ" الإنسان العامل" باعتبار الفعل دالّ ومؤشر على السلوك الأخلاقي، وقد كان هذان الاتجاهان خطان متوازيان قادا الحضارة الإنسانية إلى حين من الزمن، أين انقلبت الموازين ورجحت حضارة القول على حضارة الفعل، لا سيما مع ثورة التقنية وانفجار المعلومات، مما جعل السمة الغالبة على حضارة اليوم كونها حضارة قول بامتياز.[1]

وقد تحدّث طه عبد الرحمن عن آفات حضارة القول ولخّصها في ثلاث نقاط وهي: آفة التضييق، ومنشأ هذه الآفة ثمرة لاكتساح حضارة القول الذي اقتحم على الفعل موطنه وغصبه سلطانه وضاقت رُقعة الأخلاق –آفة التجميد، ومنشأ هذه الآفة ثمرة لزحزحة المنظومة الأخلاقية من الحياة الاجتماعية والسياسية والمدنية وحصرها وتضييق دائرتها في مراقبة أفعال آحاد الناس (الصبغة الفردية للأخلاق) ومحاولة استبدال المنظومة الخُلقية بالقول الاجتماعي والقول القانوني –آفة التنقيص، ومنشأ هذه الآفة كون حضارة القول لم تكتف بزحزحة المنظومة الأخلاقية والحدّ من فاعليتها بل زادت الطين بلّة من خلال الانتقاص من الفعل الأخلاقي نفسه ووصفه بالسلبية والدونية وكونه لا يخدم إلا الضعف في النفس والخذلان في السلوك، وعليه فالأأولى بالإشادة ونفخ الروح فيه هو الفعل السياسي، ويرى طه عبد الرحمن أن هذا الادّعاء باطل ،فإذا كان الفعل الأخلاقي لا يشتغل بتقوية السلطان بقدر ما ينشغل بتزكية الوجدان ،فإن القول السياسي الذي أثمرته حضارة القول لا همّ له إلا ابتغاء الرئاسة ومحبة السلطان، وعلى الجملة أنتجت حضارة

[1] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 77-78 بتصرف.

القول مضارا ثلاثة أصابت الإنسان في كيانه الخُلُقي آفة التضييق التي جعلت فعل الإنسان محدودا،وآفة التجميد التي جعلته مقطوعا،وآفة التنقيص التي جعلته منبوذا. [1]

ونتيجة للمأزق المنهجي الذي أدت إليه حضارة القول يطرح طه عبد الرحمن رؤية منهجية لحلّ هذا الإشكال، وتتمثل في تجديد الإنسان على مقتضى التخلّق الجذري والكلي الذي يكون أقرب إلى التجربة الدينية، ولا مكان لإنسان بديل لإنسان حضارة القول إلا من خلال تحول خُلُقي تباشره التجربة الدينية.[2]

وقد طرح طه عبد الرحمن بديل التخلّق المؤيد للخروج من الآفات الثلاث (التجميد-التضييق-التنقيص)، فالتخلّق المؤيد في نظره:" يتيح للإنسان المكلف التخلّق بالصفات الحسنى والاقتداء الحيّ بالرسول موصلا في النهاية إلى الشعور بالسعادة ومحققا النظرة الإنسانية الحائزة على ملكة الذوق الجمالي متجاوزا في ذلك الجماليات السفلى متطلعا إلى الجماليات العليا."[3]

خاتمة:

بعد هذه الوقفة في مقياس مدخل إلى علم الأخلاق، من خلال الوقوف عند محطات مركزية، والتي تمثلت في تعريف الأخلاق وأهميتها وبيان نشأة علم الأخلاق وأهم النظريات الأخلاقية في الفلسفة اليونانية والغربية، وكذا التطرق إلى النظرية الأخلاقية في الإسلام من خلال كتاب دستور

---

[1] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 78-79 بتصرف.

[2] سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق،ص 80 بتصرف.

[3] النقد الصوفي للحداثة – قراءة في كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن،مرجع سابق، ص 343.وانظر أيضا: الحداثة وسؤال الأخلاق في المدونة الفكرية لطه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 44 وما بعدها بتصرف. وانظر أيضا : ثمرات التخلّق المؤيَّد عند طه عبد الرحمن في: سؤال الأخلاق ،مرجع سابق ، ص 84 وما بعدها بتصرف.

الأخلاق لعبد الله درّاز، ثم الحديث عن سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر مقارنا بالخطاب الغربي واتخذنا كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن نموذجا-أمكن لنا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج يُمكن أن نوجزها فيما يلي:

1.اقتراب المعنى اللغوي لمصطلح الخُلق من المعنى الاصطلاحي ويتضح بالتأمل في المعاني اللغوية أنها تدور حول معاني مركزية ،منها : اعتبار الخُلُق ما كان طبعا وسجية في الإنسان.

2. مفهوم الأخلاق لدى الفلاسفة فتابع في مقوماته للاتجاهات التي يدين بها هؤلاء الفلاسفة، فكل يعرف الأخلاق ويحدد معناها وخصائصها وفقًا للاتجاه الفلسفي الذي يعتنقه، مثل: الاتجاه الاجتماعي والمثالي والتجريبي والواقعي والعقلي والحدسي والنفعي، وما إلى ذلك.

3. معيار تصنيف السلوكات الإنسانية إلى سلوكات أخلاقية وغير أخلاقية هو المدح والذم ،وعليه فالأخلاق الحميدة كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس على استحسانه ومدحه على اختلاف أديانها ومذاهبها وعاداتها ،والأخلاق المذمومة كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس على استقباحه واستنكاره وذمّه، على اختلاف أديانها ومذاهبها وعاداتها.

4.الأخلاق منها ما هو بأصل الجبلّة والخلْقة وهو ما يُطلق عليه بفطرية الأخلاق ، ومنها ما يكون بالدربة والتربية والاكتساب، وهو ما أشار إليه أبو حامد الغزالي.

5.إسهام علماء الإسلام في الدرس الأخلاقي قديما وحديثا ، من خلال أعمال محمد بن سحنون-ابن مسكويه-ابن سينا –أبو حامد الغزالي-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني-طه عبد الرحمن.

6.إسهام العلماء الغربيين في الدرس الأخلاقي ،ومن نماذجه رينيه و أندريه لا لاند.

7. علم الأخلاق علم معياري وهو العلم الذي يسعى إلى وضع قواعد معرفية عملية يكون السلوك الإنساني على مُقتضاها .

.8 علم الأخلاق عند ارسطو فرعا لعلم السياسة الذي يُعنى بتدبير المملكة ،فالسياسة تسعى لتحقيق الخير الأعلى. فالعلوم الأعلى مكانة في الشرف تابعة للسياسة ،فعلم السياسة يستخدم جميع العلوم العملية الأخرى.

9. علم الأخلاق عند ابن مسكويه صناعة من أفضل الصناعات لأنها تُعني بتجويد أفعال الإنسان بحسب ما هو إنسان، لذا كان طلب هذه الصناعة – الأخلاق- والعناية بها درسا وتأليفا وممارسة وسيلة لبناء العمراان البشري من حيث تربية الأفراد وتوجيه سلوكاتهم، فشرف الصناعة بشرف موضوعها.

10. توظيف أبي حامد الغزالي للتجربة الإسلامية في الدرس الأخلاقي ، فهو عنده علم طريق الآخرة، وعلم صفات القلب، وحينًا يسميه أسرار معاملات الدين، وربما سماه أخلاق الأبرار، فعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها إلى ما رسمته الشريعة وخطه رجال المكاشفة من علماء الإسلام، وهو ما ضمنه الغزالي في كتابه الإحياء في الأرباع الأربعة التي دار عليها الإحياء.

11.علاقة علم الأخلاق بغيره من العلوم الأخرى واستغراقه لحياة الإنسان كلّها من بدئها إلى منتهاها ،في مختلف مجالات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ،فهو شامل.

12.يتجلى شرف علم الأخلاق والحاجة إليه بالنظر إلى غاياته وآفاقه، والمتمثلة في النقاط التالية:

- فهم أعمق لحقيقة الإنسان- القيم في مقابل الحاجات- الأخلاق والأفق الملّي- الأخلاق والأفق الإنساني (من المختلف إلى المشترك)- الأخلاق وصراع القوى العالمية من الصّدام إلى الأخوّة-، وبناء على هذه الغايات تتحدد خصائص الأخلاق بكونه كونية وإنسانية عالمية، وهو ما تجسده عبارة النبي ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاق»، وهو ما يؤكد اتحادّ دعوة الرسل – عليهم السلام-.

13.تطور الدرس الأخلاقي في الفلسفة اليونانية مع سقراط-أفلاطون-السوفسطائيون-أرسطو-الأبيقوريون-الرواقيون ، واقتراب مذهبهم الأخلاقي من مبدأ السعادة.

14.يتجلى الدرس الأخلاقي في العصر الوسيط مع **القديس أوغسطين**، وقيام النظرية الأخلاقية عنده على قاعدة ذات طابع إيماني: حيث لا يوجد إيمان لا توجد معرفة ولا توجد حقيقة، أما العلم الآخر فهو **توما الإكويني** وتقوم فلسفة توما الإكويني الأخلاقية على اعتبار أن سبب الشرور قد يقع في خير ما ،لكن الله لا يمكن أن يكون مصدر الشرّ ،لأنه لما كان الشرّ نقصا في الفعل ،فإن مصدره هو الفاعل الذي وقع منه الشرّ ،فلا يمكن نسبة الشر إلى الله بل إلى الإنسان الفاعل.

15.من خصائص الدرس الأخلاقي في العصر الحديث ظهور مذاهب أخلاقية جديدة كنظرية التطور حيث بنت الدرس الأخلاقي على فكرة أخلاق التطور ،ومن أشهر القائلين به روبرت سبنسر.

16.عناية الإسلام بالجانب الأخلاقي، ويتجلى ذلك في مختلف العلوم الإسلامية ، ففي الدرس الكلامي يتجلى ذلك في مبحثي الحرية والإرادة والتحسين والتقبيح وفي الدرس الأصولي يتجلى ذلك في القواعد الأأصولية كقاعدة " الأمور بمقاصدها" .

17. يتجلى الدرس الأخلاقي في القرآن الكريم من خلال المنهج الذي وضعه لترقية السلوك الإنساني وحمل المكلّف على الطاعات والعبادات من خلال ما أرساه من قواعد الإسلام الخمس(توحيد–صلاة –زكاة ،وغيرها) وأركان الإيمان الست،وعلى رأسها الإيمان بالله واليوم الآخر ،وكذا مقام الإحسان الذي يُعتبر تجسيدا حقيقيا وعمليا للمنظومة الأخلاقية في الإسلام .

18. سيرة المصطفىﷺ العطرة كلها تهذيبا للنفوس وتزكية لها ودعوة صريحة إلى مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمودها وتصحيح المعوج منها بأسلوب الرحمة والشفقة والموعظة الحسنة ،والاحتفاء بقيم وأخلاق الأمم السابقة وتتميمها.

19. اكتشاف عبد الله دراز لوجود نظرية أخلاقية في القرآن الكريم، فهو جهد استباقي ومحاولة جديدة كل الجدة في اكتشاف هذه النظرية ، إذ أغلب الجهود السابقة من طرف علماء الإسلام والغربيين والمستشرقين في هذا المجال هي جهود تجميعية لموضوع الأخلاق في القرآن الكريم ، وهناك

فرق شاسع بين حضور الدرس الأخلاقي في القرآن الكريم ووجود نظرية أخلاقية متكاملة لها أسسها وقواعدها ومنهجها.

20. ملامح العصر الذي عاش فيه عبد الله درّاز كان إرهاصا لاكتشاف نظرية أخلاقية في القرآن الكريم ، وتتمثل هذه الملامح في الاستعمار الغربي ،وصعود المد الاستشراقي ورواج الفلسفة الغربية ذات النزعة المادية ،وهيمنة حضارة الكمّ التي كانت مُوجّهة للإنسانية بأسرها ،في الوقت الذي شهد فيه العقل المسلم ركودا وجمودا ونزعة تقليدية لكل ما هو غربي ،وهو ما يُحيلنا إلى إشكالية العودة إلى الذات التي رافع عنها عبد الله دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم.

21.قصور جهود المستشرقين في استخراج نظرية أخلاقية من القرآن الكريم ، وهو ما يتجلى في نقد عبد الله دراز لهذه الجهود وكونها جهود تجميعية، وأسبقية عبد الله دراز في ذلك.

22. النظرية الأخلاقية عموما لها جانبان جانب نظري وآخر ميداني عملي ،فدراسة النص القرآني تكشف عن وجود هذين الفرعين لعلم الأخلاق ،فالصورة التي جاءت بها في القرآن بلغت درجة من الكمال ،فالقرآن تميز بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، وهو الذي ظل متفرقًا في تعاليم القديسين والحكماء، رغم تباعدهم، زمانا ومكانا.

23. الفطرة الإنسانية هي حجر الزاوية في المنهج التربوي القرآني الذي يجعلها مُرتكزا في خطابه إضافة إلى خاصية خطابه وجمعه بين العقل والوجدان.

24. تقوم عليها النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم ،وهي الإلزام-المسؤولية-الجزاء-النية والدوافع-الجهد.

25.تستمد النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم أصولها من مصادر التشريع الإسلامي الرئيسة : الكتاب-السنة-الإجماع-القياس.

26. أساس الأخلاق القرآنية ليست اللذة، ولا المنفعة، ولا السعادة، ولا الكمال، فليست هذه كلها بقادرة في ذاتها على أن تنشئ هذا المبدأ، وكل ذلك يجب أن يكون خاضعا لسلطان الواجب، بأقدس معاني الكلمة.

27. الفكرة المركزية في النظام الأخلاقي وفق الرؤية القرآنية و الفضيلة الأم التي تتكاثف فيها كل الوصايا، هي التقوى، وهذه الأخيرة لها مضامينها على الفعل الفردي والأسري والاجتماعي والسياسي، أو ما يمكن أن نطلق عليه الجمع بين عالميْ الغيب والشهادة.

28. سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر مقارنا بالخطاب الغربي ، جسّده طه عبد الرحمن بكتابه سؤال الأخلاق، والذي ضمنه نقدا أخلاقيا للحضارة والحداثة والغربية .

29.من تجليات النقد الأخلاقي للحداثة الغربية عند طه عبد الرحمن طرح فكرة الأخلاقية بديلا عن العقلانية، أو ما يمكن أن نطلق عليه من إنسان العقلانية إلى إنسان الأخلاقية.

30. من تجليات النقد الأخلاقي للحداثة الغربية عند طه عبد الرحمن نقد العقلانية المجردة وطرح العقلانية المسددة والمؤيدة بالوحي كبديل ، وهو جمع ضمني بين الدين والأخلاق والعقل والنص.

31. الأخلاقية عند طه عبد الرحمن هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مُستقلّا عن أفق البهيمة، وهي الأصل الذي تتفرّع عليه كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك.

32. سؤال الأخلاق في مشروع طه عبد الرحمن هو مشروع الانتقال من حضارة القول إلى حضارة الفعل

آفة التضييق- آفة التجميد-آفة التنقيص، وهذه الآفات كلها في حضارة القول مشروع لزحزحة المنظومة الأخلاقية.

33. طرح طه عبد الرحمن فكرة التخلّق المؤيد بديلا للخروج من آفات حضارة القول الثلاث (التجميد-التضييق-التنقيص)، حيث يقوم التخلّق المؤيد على التحلّي بالصفات الحسنى والاقتداء الحيّ بالرسول ﷺ .

1.قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا ألفبائيا:

01- إحياء علوم الدين،أبو حامد الغزالي، دار المعرفة ، بيروت،بدون تاريخ .

02-الأخلاق الإسلامية وأسسها ،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،دار القلم،بيروت ،لبنان ، ط05 ، 1999.

03- الأخلاق عند الغزالي ،زكي مُبارك ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ط 2012.

40-الأخلاق ومذاهبها ، صلاح الدين خليل عثمان، بدون دار، بدون تاريخ.

05- آداب المعلمين ، محمد بن سحنون ، تحقيق: حسن حُسني عبد الوهاب ،مطبعة المنار ، تونس ، 1972.

06-أديان الهند الكبرى،احمد شلبي،مكتبة النهضة المصريّة، ط11، 2000.

07- أساس البلاغة، الزمخشري جار الله ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998.

08- الإشارات والتنبيهات، أبو علي بن سينا، ، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط03،بدون تاريخ.

09- الأعلام ،خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين،بيروت ،ط15، 2002.

10- الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، تعريب: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، ط 1993.

11- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تح: حمد عبد الله القرشي، النّاشر حسين عبّاس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ.

12- تاج العروس ، تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي التحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

13-التحرير والتنوير، التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر – تونس،ط 1984.

14- التذكرة في الأحاديث المشتهرة ،بدر الدين الزركشي الشافعي تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط01، 1986.

15 -التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

16-تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

17- تهذيب اللغة تهذيب اللغة ،محمد الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط01، 2001

18- جمهرة اللغة، جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط01، 1987.

19- دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط10، 1998 .

20 -الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة،ط02، 1964.

21-سؤال الأخلاق مُساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط01، 2000.

22- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي +دار الوراق للنشر والتوزيع ،بدون تاريخ .

23- سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، استنبول، ط1، 1998م.

24- شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، صححه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، سوريا، ط02، 1989.

25- شرح المعلقات السبع، الزوزني،دار إحياء التراث العربي ، ط01، 2002.

26-الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،القاضي عياض ، دار الفيحاء ، عمان،الأردن،ط02، 1407هـ.

27- الرّسائل والحكم، أبيقور، دراسة وترجمة: جلال الدّين سعيد، الدّار العربيّة للكتاب، بدون تاريخ.

28-روضة الورد ،سعدي الشيرازي،تعريب : محمد الفراتي ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق ، ط 1961.

29- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،أبو نصر الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت ، ط04، 1987 م.

30- طه عبد الرحمن، قراءة في مشروعه الفكري،إبراهيم مشروح،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت، ط01، 2009.

31 -عقيدة المسلم ، الغزالي ،محمد نهضة مصر للطباعة والنشر، ط01. 2003.

32-علم الأخلاق الإسلامية،مقداد يالجن،دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض،ط02، 2003.

33-علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس ،أرسطو،ترجمه من اليونانية ،بارتلمي سانتهلير ،نقله إلى العربية : أحمد لطفي السيد ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1924.

34- علم أصول الفقه ،عبد الوهاب خلاف ،دار القلم ،بيروت، ط08،بدون تاريخ .

35-العمدة في فلسفة القيم،عادل العوا ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط 01، 1986.

36-العهد الجديد –الإنجيل-.

37- العهد القديم – التوراة-.

38 -الفكر الصيني من كنفوشيوس إلى ماوتسي تونج ، هـ.ج.كريل ،ترجمة عبد الحميد سليم ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،ط 1971.

39- القاموس المحيط القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط08، 2005 م.

40- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة،محمد مصطفى الزحيلي،دار الفكر ، دمشق، ط01، 2006.

41-كتاب الأخلاق ، أحمد أمين ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ،ط 2012.

42-لسان العرب، جمال الدين ابن منظور ،الناشر: دار صادر ، بيروت، ط03، 1414هـ.

43- مبادىء الفلسفة ، أ.س.رابوبرت ، ترجمة : أحمد أمين ، مؤسسة هنداوي ،مصر ، ط 2012.

44- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،أبو الحسن الهيثمي تحقيق: حسام الدين القدسي ،مكتبة القدسي، القاهرة، ط،1994

45- المحاور الخمسة في القرآن الكريم،محمد الغزالي،دار الشروق ، بدون تاريخ .

46-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا ط05، 1999م.

47-مدينة الله ،القديس أوغسطين ،ترجمه إلى العربية : الخور أسقف يوحنا الحلو ،دار المشرق،بيروت ، ط02، 2006.

48- المسند الجامع ،تحقيق: محمود محمد خليل ،دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1993 م .

49-معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت،ط02، 1975.

50- المعجم الفلسفي ،جميل صليبا ،دار الكتاب اللبناني+مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان،ط1982.

51- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّة، ط 1364 هـ. بتصرّف.

52-المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،إبراهيم مصطفى وآخرون،دار الدعوة ،بدون

53- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار،الحافظ العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان ،ط 01، 2005 م .

54- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار،الحافظ العراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2005.

55- المقدمة ،عبد الرحمن بن خلدون ،تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار البلخي+ مكتبة الهداية، دمشق،ط 2004،.

56- مقدمة في علم الأخلاق ،كمال الحيدري ،مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة ، بدون تاريخ .

57- مقدمة في علم الأخلاق ،محمود حمدي زقزوق ، دار القلم، الكويت ، ط03، 1983.

58- مقدمة في علم الأخلاق ، ويليام ليلي ترجمة: علي عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ،ط 2000.

59 -المكتوبات, بديع الزّمان سعيد النّورسي, تر: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر، استنبول، ط01، 1992.

60- الملل والنحل ،الشهرستاني ،مؤسسة الحلبي ، بدون تاريخ .

61- منهج تربوي فريد في القرآن البوطي،محمد سعيد رمضان.دار الفرابي للمعارف ،دمشق سوريا.

62- موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ، ط01، 1984.

63-موسوعة لالاند الفلسفية ،لالاند ،تعريب : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ،بيروت- باريس ،ط02، 2001.

64- ميزان العمل ،أبو حامد الغزالي ،تحقيق :سليمان دنيا ،دار المعارف، مصر ،ط 01، 1964 .

65- الموسوعة الفلسفية ،روزنتال ،ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للنشر، بيروت،بدون تاريخ.
66 -الهند القديمة حضارتها وديانتها،محمد اسماعيل الندوي،دار الشعب،القاهرة ،1970.
67- اليهودية،شلبي.

2.الرسائل والأطروحات:

68- الأخلاق الأبيقورية وأثرها في الفكر الأأخلاقي المعاصر ، علي عرعور ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة ، إشراف عبد الرحمن بوقاف ، الموسم الجامعي : 2004-2005م .

3.المجلات العلمية:

69-الحداثة وسؤال الأخلاق في المدونة الفكرية لطه عبد الرحمن، ابن سعيد محمد، مقال منشور في الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية.، جامعة البيض، قسم الآداب و الفلسفة. العدد 15 -جانفي 2016.
70- النقد الصوفي للحداثة – قراءة في كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن-،كمال عبد اللطيف، مقال منشور بمجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، العدد: 14، صيف 2007.

4.المواقع الإلكترونية:

71- موقع الجزيرة نت ، www.aljazeera.net .
72- موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ،على الرابط http://www.habous.gov.ma/2014-07-21-11-55- .

فهرس الموضوعات	
الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	02
---	---
بطاقة حول المقياس	06
محتوى المقياس	07
المحور 01:تعريف الأخلاق وأهميتها:	08
1.تعريف الأخلاق	08
1.1.لغة	08
2.1.اصطلاحا	10
3.1.تعريف علم الأخلاق	17
خلاصة التعاريف	23
2.أهمية الأخلاق وغايتها	24
المحور 02: نشأة علم الأخلاق وأهم النظريات الأخلاقية	32
1.نشأة فلسفة الأخلاق	33
1.1.العصر القديم	33
2.1.العصر الوسيط	40
3.1.العصر الحديث	44
المحور 03: النظرية الأخلاقية في الإسلام.	46
تمهيد	46
1.الأخلاق في القرآن السنة	46
2.النظرية الأخلاقية في الإسلام –دستور الأخلاق تموذجا–	49
1.2.مفهوم النظرية	49
2.2.كتاب عبد الله دراز	50

1.2.2.التعريف بصحاب الكتاب	50
2.2.2.دواعي التأليف	52
3.2.2.الخصيصة المنهجية للنظرية الأخلاقية في القرآن	53
4.2.2.أسس النظرية الأخلاقية في القرآن	54
أولا.الجانب النظري	54
1.الإلزام	54
2.المسؤولية	62
3.الجزاء	66
4.النية والدوافع	72
5.الجهد	73
ثانيا: خلاصة الأسس	74
المحور 04:	78
سؤال الأخلاق في الخطاب الإسلامي المعاصر مقارنا بالخطاب الغربي –كتاب سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن نموذجا–	
1.نبذة عن الفيلسوف طه عبد الرحمن	78
2.كتاب سؤال الأخلاق وإشكالية العقلانية و الأخلاقية	81
3.كتاب سؤال الأخلاق من حضارة القول إلى حضارة الفعل	87
خاتمة	88
قائمة المصادر والمراجع	93
فهرس المواضيع	100